

الفصل الثانى

مكونات القبة المدفن

تتكون القبة المدفن من أربعة^(١) تكوينات معمارية متطابقة لكل منها تطورها الذى سارت فيه إلى أن بلغت حد النضوج والرقى المعمارى والزخرفى فى عصر سلاطين المماليك ، وهذه التكوينات عبارة عن :

أولاً : فساقى الدفن المبنية فى نخوم الأرض .

ثانياً : يليها فوق سطح الأرض مربع يحدد مساحة القبة .

ثالثاً : يلي ذلك منطقة الانتقال التى تطورت مقرنصاتها من الداخلى وتنوعت أشكالها من الخارج .

رابعاً : يلي ذلك الرقبة المستديرة تعلوها القبة التى غشيت بالزخارف المتنوعة من الداخلى والخارج .

هذا ويلاحظ أن التكوينات الثلاثة الأخيرة متتابعة فوق سطح الأرض بشكل لا انفصال فيه بخلاف التكوين الأول الذى ينفصل عنهم جميعاً بخلق فتحات منازل الفساقى بالمجاديل الحجرية ، وهذا الانفصال ضرورى من الوجهة المعمارية لأن ظاهر سقف تلك الفساقى

(١) يخالف هذا القول رأى الشائع بأن المدفن ذا القبة يتكون من ثلاث وحدات معمارية وهى المربع السفلى ومنطقة الانتقال والرقبة ثم القبة أى الحوزة .

دلى : العمارة العربية بمصر - ص ٩ - ١٠ .

على غالب : قباب القاهرة فى عصر المماليك الحراكية - ص ٣

ما هو إلا أرضية مربع القبة ولا بد من غلق منافذها وتبليطها أو ترقيمها بقطع الرخام الملون (الخردة) حتى تظهر بالمظهر اللائق بها^(٢).

ونضيف على ذلك فنقول أن هذا الانفصال يتمشى مع ما جاء في كتب الفقه والحسبة بشأن أحكام الدفن فقد اتفقت كلها على توسيع القبر وتعميقه على وجه يحرس الجثة من السباع والطيور ويكتم الرائحة من الانتشار^(٣).

أولاً : فساق^(٤) الدفن :

على الرغم من تعدد المسميات التي أطلقت على المدافن والقبور

(٢) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير قرقماس وملحقاتها - ص ٤٨٥ -

٤٨٦ .

(٣) الشافعي : الأم - ج ١ - ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

ابن الاخوة : (محمد بن محمد بن أحمد القرشي) ت : ٥٧٢٩ / ١٣٢٩ م .
معالم القرية و أحكام الحسبة - تحقيق محمد محمود شعبان ، صديق أحمد عيسى
(القاهرة ١٩٧٦ م) - ص ١٠٥ .

محمد بن جمال الدين مكى العاملي : (ت : ٥٧٨٦ / ١٣٨٤ م) - اللعة
الدمشقه - ج ١ - تحقيق السيد محمد كلانتر - بيروت ١٩٨٣ م - ص ١٤٦ .

ابن مفتاح : شرح الأزهار - ج ١ - ص ٤٣٨ .

ابن عابدين : حاشية ابن عابدين - ج ١ - ص ٩٣٣ .

أبو بكر الجزائري : منهاج المسلم - ص ٢٤٢ .

(٤) يوجد للفسقية معانٍ أخرى متعددة غير المعنى الجنائزى فهى تعنى الحوض المعد للماء الوضوء والاعتسال على العادة فى ذلك وله أشكال متعددة منها المستطيل والمربع والمثلث كما يطلق لفظ الفسقية على الأحواض التى تتوسط أرضيات شبائيك الأسبله وعن طريقها يسال الماء للمارة وهى عبارة عن أحواض متعددة الأشكال أيضاً يتوسطها فوار يخرج منه الماء للتسيل ، ويطلق هذا اللفظ أيضاً على الفوارات التى تتوسط الدور قاعات بين الإيوانات و القصور المملوكية وذلك لتلطيف الجو من الصيف ولها أشكال متعددة تفنن

الإسلامية إلا أن لفظ الفسقية هو الذى شاع إطلاقه على مدافن
سلاطين وأمراء المماليك فقد ورد هذا اللفظ فى معظم وثائق الوقف
الملوكية ، والفسقية كما يذكر ابن عابدين هى « كبيت مسقوف
بالبناء يسع جماعة قياماً »^(٥) ، وقد اتفق الفقهاء على كراهية الدفن فى
الفساق لمخالفتها السنة المطهرة^(٦) .

وينبغى أن نذكر أن تخطيط معظم الفساق التى قمت بزيارتها
أو التى تناول وصفها بعض الأثريين يكاد يكون متشابهاً فهى عبارة
عن مساحة مستطيلة تبنى فى تخوم الأرض أسفل حجرة القبة المربعة
ومادة بنائها إما من الحجر الفص النحيت ذى الأحجام المتوسطة
وتكحل المداميك بالونة وفى بعض الأحيان تترك بدون تكحيل^(٧)
أو تكون مادة بنائها من الآجر ، ويوجد فى الجهة الجنوبية الشرقية من
هذه المساحة المستطيلة حنية محراب معقودة وذلك لبيان اتجاه القبلة
لوضع المتوفى تجاهها ، هذا وسقف هذه المساحة المستطيلة قبو مدبب
أو نصف دائرى ما هو إلا أرضية حجرة القبة المربعة ، أما أرضية
الفسقية فتفرش بالرمل الناعم المنخول لامتناس الفصالات ولتبع
تسرب أى روائح تنتج عند تحلل الجثة المدفونة ومن أمثلة ذلك فسقية
قبة طشتمر حمص أخضر لوحة وفساق منشأة أمير

المرحمون فى تقشيتها بأنواع جميلة من الرخام الملون (الخرذة)

عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق فى خدمة الآثار - ص ٤٠٤ - حاشية ١

محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير قرقماس - الملحق الوثائقى - ص ١٨٨ .

(٥) حاشية ابن عابدين - ج ١ - ص ٩٣٣ .

(٦) ابن الحاج : المدخل - المجلد الثالث - ص ٢٦٧ - ٢٧٢ .

حاشية ابن عابدين : ج ١ - ص ٩٣٣ .

(٧) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - الملحق الوثائقى -

ص ١٨٤

كبير قرقماس^(٨) . أما فسقية قبة الماس الحاجب ٥٧٣٠ / ١٣٢٩ م فيذكر المرحوم (يوسف أحمد) أنه بعد ما ينزل الإنسان من السلم يجد ردهة لطيفة وعلى يسارها بناء معقود وبه من الجانبين حنايا مرتفعة عن أرضية الفسقية ومعقودة على عمد من الرخام ويغلب على الظن أنها كانت لوضع الأطفال الصغار عليها ، ويتوسط الصدر محراب مجوف وفرشت الأرضية بالرمل المنخول بارتفاع كبير لامتناس الفضلات^(٩) (شكل ١) .

وينقسم باطن قبة الأمير طراباى الشريفى إلى قسمين متساويين بينهما حاجز بالبناء (أ - ب) ومنزلهما بدون سلام (١ ، ٢) بالجناحين القبلى والبحرى للحجرة ينزل فهما بالميت متدياً من أعلى وأسفل وفيما بين هذين المنزلين منزل آخر^(٣) يوصل إلى تربتين صغيرتين (ج - د) كائنتين أسفل المنزلين سالفى الذكر ، وفرشت أرضيتهما بالرمل الناعم الأصفر بارتفاع يربو عن متر لامتناس الفضلات^(١٠) (شكل ٢) .

وورد إلى جانب لفظ الفسقية لفظ آخر فى الوثائق المملوكية المتأخرة وهو لفظ قبر قرافى كما هو الحال فى وثيقة كل من الأمير خاير بك^(١١) والسلطان قانصوه الغورى^(١٢) ، ويقصد بالقبر القرافى القبر المتسع تمييزاً له عن الفسقية التى صغرت مساحتها فى أواخر العصر المملوكى وعلى ذلك فالفارق بين القبر القرافى والفسقية يتضح

(٨) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٤٢٦ ، ٤٤٠ .

(٩) يوسف أحمد : تربة الفجر الفارسى - ص ٤٨ .

(١٠) يوسف أحمد : نفس المرجع - ص ٤٩ .

(١١) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٤٨٦ .

(١٢) محمد فهميم : مدرسة السلطان قانصوه الغورى - ص ٢٠٧ .

في المساحة وفي المنزل فمساحة القبر القرافي كبيرة تبلغ نصف مساحة مربع القبة كما أنه يحتل مكان الصدارة بالنسبة للفساق التي تجاوره ومدخله يحتل صدر المنزل ، أما الفسقية فمساحتها تبلغ ربع مساحة القبر القرافي تقريباً وتشغل مكاناً جانبياً إذا كان المكان مشترك بينهما وبين القبر (١٣) .

أما منزل الفسقية فهو عبارة عن مستطيل متوسط العمق به باب معقود بعقد مدبب قمته مساوية لقمة قبو الفسقية ولا يتعدى ارتفاع هذا الباب عن (١ م) وإذا كانت الفسقية واقعة أسفل قبر قرافي كبير أو أسفل منزل قبر أو فسقية أخرى نجد المدخل معلقاً أيضاً ولكن بدلاً من الوصول إلى الفسقية مباشرة نصل إليها عن طريق منور بأرضية المدخل، وقد وجد هذا المنور لانخفاض مستوى قبو الفسقية لوقوعه أسفل قبر آخر أو فسقية أخرى ، هذا ويؤدي مدخل الفسقية إليها إما بواسطة سلالم أو كابولي حجري بارز في وسط الحائط يساعد في النزول إليها أو الصعود منها وهذه الطريقة الأخيرة صعبة وتحتاج إلى تجهيزات لتسهيل النزول (١٤) .

أما المجاديل التي تغلق على المنزل فهي من الحجر الجيري المستطيل الشكل وترتكز على حواف بارزة بجدار المنزل ، وزيادة في إخفاء مكان المنزل تلبط المجاديل مثل ما حولها من أرضية حجرة القبة سواء كانت بالبلاط الكدان أو البلاط الطراوى وفي بعض الأحيان توضع علامة مميزة أو حلقة تبين مكان المنزل وفي أحيان أخرى تترك المجاديل

(١٣) محمد مصطفى نجيب : المرجع السابق - ص ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

(١٤) محمد مصطفى نجيب : نفس المرجع (الملحق الوثائقي)

ص ١٨٤ - ١٨٥ .

عارية دون تبليط^(١٥) .

وقد حرصت الوثائق على تحديد عدد فساقى الدفن بكل منشأة سواء كانت فسقية واحدة^(١٦) ، أو فسقيتين^(١٧) أو ثلاث فساقى^(١٨) أو أربعة فساقى^(١٩) أو أربعة عشر فسقية^(٢٠) .

(١٥) نفس المرجع والصفحة .

(١٦) ومن أمثلة ذلك فسقية مدفن القاضى يحيى زين الدين بشارع الأزهر .

ليلي الشافعى : منشآت القاضى يحيى زين الدين بالقاهرة - ص ٣٢١ ، ٣٢٩ .

(١٧) ومن أمثلة ذلك فساقى كل من السلطان حسن والمؤيد شيخ وبرسباى وإينال

وقايتباى .

على زغلول : مدرسة السلطان حسن - ملحق رقم ٢ - ص : (ب) .

فهيمى عبد العليم : جامع المؤيد شيخ - ص ١١٩ - ١٢٠ .

محمد عبد الستار : الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى - ص ٦٩ .

سامى أحمد : السلطان إينال وأثاره المعمارية (الملاحق) ص ٤ .

حسنى نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية - ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(١٨) ومن أمثلة ذلك تربة القاضى عبد الباسط بالصحراء (غير موجودة اليوم)

وفساقى قبة الأمير قانى باى الرماح أمير اخور (بميدان القلعة) .

سامى نوار : الأعمال المعمارية للقاضى زين الدين عبد الباسط - ص ٢٦٣ .

سامى عبد الحلیم : آثار الأمير قانى باى الرماح بالقاهرة - ص ٢٥٠ .

(١٩) ومن أمثلة ذلك فساقى تربة كل من الجمالى يوسف ناظر الخاص والمؤرخ

أبو المحاسن ابن تغرى بردى .

عادل شريف : الأعمال المعمارية ليوسف بن عبد الكريم بن بركة الشهرى بالجمالى

يوسف - ص ٣٢٣ .

عبد اللطيف إبراهيم : وقفية ابن تغرى بردى - ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢٠) ومن أمثلة ذلك فساقى منشأة فرقماس أمير كبير وقد توزعت هذه الفساقى

بواقع ست فساقى أسفل حجرة القبة المربعة وأربعة فساقى أسفل المدفن المحاور للقبة وأربعة

أخرى أسفل مربع مد السماط

محمد مصطفى نجيب : المرجع السابق - ص ٤٨٧ - ٤٨٨ - الملحق الوثائقى

ص ٢١ - ٢٢ .

وقد نصت معظم الوثائق على أن هذه الفساق قد خصصت لدفن
الواقف وأولاده وذريته وعقبه ونسله وحرمة وسراريه .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن التراكيب الموجودة بمربع القبة إنما تعلق
الفساق المبنية في تخوم الأرض وتتكون هذه التراكيب الرخامية من
مستطيل أو مستطيلين يعلو كل منهما الآخر والعلوى أقل من السفلى في
المساحة ويتوسطه ويوجد بأركان المستطيل العلوى أربعة رمامين
رخامية ، ويكسو جوانب التركيبة كتابات قرآنية وأدعية إلى جانب
ذكر ألقاب المتوفى واسمه .

وإلى جانب هذه التراكيب الرخامية وجدت تراكيب خشبية
كما هو الحال في تركيبة مشهد السيدة رقية ومشهد الإمام الشافعي
والمشهد الحسيني ومدفن الصالح أيوب ومدفن حسام الدين طرنطاي
وأحمد بن سليمان الرفاعي .

ويتوسط معظم التراكيب مربع القبة كما هو الحال في سلاروسنجر
الجاولي وبييرس الجاشنكير والسلطان حسن وصرغتمش وأولجاى
اليوسفى والظاهر برقوق بالنحاسين ، وفي بعض الأحيان توجد
التراكيب أمام المحراب مباشرة كما هو الحال في قباب خانقاه الناصر
فرج بالصحراء والأشرف برسباى بالصحراء والأشرف قايتباى
بالصحراء وطراباى الشريفي بباب الوزير وقرقماس أمير كبير
بالصحراء .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل وجدت تراكيب على يمين المحراب
كما هو الحال بقبة السلطان^(٢١) اينال بالصحراء والأمير قجماس

Comite de conservations des Manuments de l'Art Arabe, (exerci (٢١)
ces 1915 - 1919), pl. CIXVII.

الاسحاقى بالدرب الأحمر والأمير خايربك^(٢٢) بباب الوزير ، كما وجدت تراكيب أخرى على يسار المحراب كما هو الحال في مدفن جاني بك نائب جده (بشارع القادرية) وقبة قانيباى الرماح أمير آخور^(٢٣) وأحياناً توجد التركيبة بجوار أحد الشبايك المواجهة لجدار المحراب من الجهة الشمالية الغربية ومن أمثلة ذلك التركيبة الثانية بقبة السلطان قايتباى بالصحراء .

ويمكن القول بأن التنوع في وضع التراكيب بهذه الصورة إنما يرجع أساساً إلى أنها مرتبطة بالفساقى التى أسفلها سواء أكانت في وسط القبة أو أمام المحراب وقريبة منه أو على يمينه أو يساره أو في أى مكان آخر من مربع القبة .

ولعل في وجود هذا التنوع ما ينفى القول بأن تراكيب عصر الجراكسة قريبة جداً من المحراب إذا ما قورنت بتراكيب عصر المماليك البحرية^(٢٤) .

هذا وقد حذر ابن الحاج من وضع الرخام على القبور لما فيه من إسراف وإضاعة مال وفخر وخيلاء كما حذر أيضاً من وضع ألواح من الخشب عوضاً عن الرخام أو عمل درابزين حول القبر لأن كل ذلك من « البدع المكروهة في الشرع الشريف »^(٢٥) .

Ibid pl. CXC VII. (٢٢)

Ibid pl. CXC II. (٢٣)

(٢٤) ليلي الشافعى : مدرسة جوهر اللالا (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٧٧ م) - ص ١٣٩ - حاشية ١ .

محمد عبد الستار : نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ص ٣١٠ - حاشية ٢ .

(٢٥) ابن الحاج : المدخل - المجلد الثالث - ص ٢٧٢ .

ثانياً : المربع السفلى :

المربع السفلى هو الكتلة الثانية في تكوين المدفن ذى القبة عموماً والكتلة الأولى في ترتيب الوحدات الثلاث الظاهرة فوق سطح الأرض ، ويمكن القول بأن مربع القبة قد سار في طريق التطور خطوات واسعة حتى اتخذ في النهاية شكلاً محددًا لا يجيد عنه إلا في القليل النادر .

١ - تخطيط مربع القبة في العصر الفاطمي :

كانت بداية المربع السفلى بسيطة متواضعة عبارة عن مساحة مربعة تحتوى على أربعة أبواب معقودة بعقد مدبب بواقع فتحة باب في منتصف كل جانب من جوانب المربع وهذا ما نجده في القباب السبع^(٢٦) ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م - وأيضاً في بعض قباب أسوان^(٢٧) وقد عرف هذا النوع من التخطيط - وهو المساحة ذات الجوانب الأربعة المفتوحة - في العمارة قبل العصر الإسلامي وفي العمارة الإسلامية المبكرة في العصر الأموي والعباسي^(٢٨) كما عرف أيضاً في تخطيط المدافن الإسلامية الأولى التي لاتزال باقية ومن أمثلتها قبة الصليبية في سامراء ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م وقبة إسماعيل الساماني في بخارى ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م ، وقبة أبو الهيجاء عبد الله الحمداني (ت : ٣١٧ هـ

Creswell: The Muslim Architecture of Egypt. Vol. I, Fig 47, 48. (٢٦)

Monneret de Villad: la Necropali Musulmana di Aswan (la (٢٧)
Cairo, 1930) p. 24, Fig. 36.

Creswell: Op. Cit. p. 134. Fig. 65.

فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية - ص ٥٤٧ شكل ٣٤٢ ،

٣٦٦ .

(٢٨) عادل نجم : التربة في العمارة الأيوبية في سوريا - ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

٩٢٩ م) وكانت قبة كبيرة مقامة على أربعة جوانب يوجد في كل جانب منها باب ، وأقيمت قبة أخرى ذات أربعة جوانب مفتوحة على قبر الإمام علي في النجف (٢٩) .

ويعتقد (البروفيسور كريزول) أن هذا النوع من التخطيط قد استخدم في المدافن المبكرة كوسيلة للتوفيق بين الأحاديث الدينية لتحريمها لفكرة البناء على القبور وبين الرغبة في بناء مبان تذكارية على القبور إذ أن هذا التخطيط يجعل القبر معرضاً للشمس والرياح والأمطار ومن ثم لا يتعارض مع الأحاديث كثيراً ولكنهم سرعان ما أحسوا بالحاجة لوجود محراب فأوجدوا محراباً صغيراً جداً بأحد مدافن القباب السبع على كل جانب من جوانب الباب القبلي للمدفن (٣٠) .

وقد وجد هذا النوع من التخطيط أيضاً في المدافن ذى القباب بجبانة صعدة اليمنية (٣١) .

وتتمثل المرحلة التالية في وجود محراب متكامل الهيئة في الجانب القبلي وثلاثة أبواب في الجوانب الثلاثة الأخرى كما هو الحال في قبة الحصواتي (٣٢) (شكل ٤) والقبة الفاطمية بالجمالية - أمام خانقاه ببيرس الجاشنكير (شكل ٣) وتتمثل المرحلة الثالثة في بناء كافة الجوانب فيما عدا الجانب الذي يحتوي على المدخل المواجه للمحراب

Creswell: Op. Cit. p. 111. (٢٩)

Creswell: Op. Cit. p. 113. (٣٠)

(٣١) سيف النصر أبو الفتوح : دراسة لمجموعة من شواهد القبور بجبانة مدينة صعدة في اليمن (صعاء ١٩٨٣) - ص ٧ .

Creswell: Op. Cit. p. 113. (٣٢)

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - > ٢ - ص ١٢٥

ومن أمثلة ذلك قبة الشيخ يونس^(٣٣) ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ومشهد أخوه يوسف^(٣٤) أوائل ق ٥٦ هـ / ١٢ م وقبة كل من الجعفرى وعاتكة^(٣٥) إلا أن المدخل فهما يقع في الجانب الشمالى الشرقى وليس في الجانب الشمالى الغربى المواجه للمحراب وقد حدث ذلك نتيجة لإحراق قبة السيدة عاتكة بالجانب الشمالى الغربى لقبة الجعفرى مما نتج عنه انسداد الباب الأسمى لقبة الجعفرى في هذه الجهة ووضع بدلاً منه محراب قبة السيدة عاتكة مما أدى إلى تغير وضع مدخل كل من هاتين القبتين .

وقد تطور هذا التخطيط الأخير في مشهد السيدة رقية ٥٢٧ هـ / ١١٣٣ م . فقد أحيط مربع القبة الأوسط (الذى يحتوى على المحراب الرئيسى والباب المقابل له) من جانبيه الجنوى الغربى والشمالى الشرقى بمساحتين مستطيلتين مسقوفتين بسقف خشبى مسطح وبصدر كل منهما محراب ، هذا ويتقدم المدخل الشمالى الغربى المواجه للمحراب رواق مستعرض يشرف من خلال يائكة ثلاثية على صحن أوسط مكشوف ويستدل على ذلك من وجود طرفى رباط بطرفى هذا الرواق مما يدل على أن الأبنية كانت ممتدة^(٣٦) .

(٣٣) صالح لمعى مصطفى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر - ص ٣٠ - ٣١ .

(٣٤) نلاحظ أن المدخل فى هذا المشهد فى الجهة الجنوىة الغربية وليس فى الجهة الشمالىة الغربية المواجهة للمحراب .
(انظر مسقط هذا المشهد فى :

سعاد ماهر : المرجع السابق - ص ١٠٨

(٣٥) Creswell: Op. Cit. pp. 113 - 239 .

سعاد ماهر : المرجع السابق - ص ١١٦ ، ١٢٠ .

(٣٦) حسن عبد الوهاب : أثر المرأة فى العمارة الإسلامىة (مجلة الهندسة

والواقع أن نظرة فاحصة لهذا التخطيط تبين مدى تأثيره بتخطيط مشهد الجيوشى^(٣٧) ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م إلى حد كبير مع بعض الاختلافات الطفيفة المتمثلة في إلحاق المدفن ذو القبة بالجانب الشمالى الشرقى بدلاً من وجوده أمام المحراب مباشرة إلى جانب اختلاف أسلوب التغطية فبينما غطيت المساحتين اللتين تقعان على يمين ويسار قبة محراب الجيوشى وكذلك الرواق المستعرض ذو اليائكة الثلاثية التى تشرف على الصحن بأقبية متقاطعة نجدها مغطاة بأسقف خشبية مسطحة فى السيدة رقية^(٣٨) .

وقد اتبع تخطيط مشهد السيدة رقية فى تخطيط مشهد كل من حضرة الشريفة بالقرافة الكبرى^(٣٩)

السنة ١٦ - العدد ١١ - ١٩٣٦ م) - ص ٤١٤ .

(٣٧) أشار إلى هذا النوع من التأثير كل من هونكير وحسن عبد الوهاب .

Hauteceur: Op. Cit. p. 242.

حسن عبد الوهاب : نفس المرجع - ص ٤١٦ .

(٣٨) قام (البروفيسور مونريه دى فيلار) بإعادة تخطيط مشهد السيدة رقية ويتضح فيه مدى التشابه الكبير بينه وبين مشهد الجيوشى .

Monneret de Villard: Op. Cit. p. 48, Fit. 80.

(٣٩) يشبه تخطيط هذا المشهد تخطيط مشهد السيدة رقية من حيث وجود المربع الأوسط تعلوه القبة ويتوسط صدره المحراب وعلى جانبيه مساحتين مستطيلتين يتوسط صدر كل منهما محراب أيضاً وقد أرخه كيربول فى النصف الأول من ق ١١ / ٥٥ م .

Creswell: Op. Cit. p. 226.

وقد ذكر المقرئى هذا المشهد ضمن مصليات القرافة وذكر أنه « مصلى الشريفة بدر القرافة حجرة الحاسين وخطة الصدف بناه أبو محمد عبد الله بن الأرسوف الشامى التاجر سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م .

المقرئى : الخطط - ٢ - ص ٤٥٤ .

لا تميل (أ د / سعاد ماهر) إلى تسمية هذا المصلى لأنه يحتوى على كل مقومات المسجد ومن ثم أطلقت عليه اسم مسجد حصرة الشريفة ، وقد أرجعت المبنى القائم الآن

والمشهد في أسوان (٤٠) .

أما مشهد يحيى الشبيه حوالى ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م فيتكون من مساحة مربعة مغطاة بقبة كبيرة وقد فتح بالاضلاع الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية والشمالية الشرقية ثلاث فتحات معقودة بعقد منكسر تؤدي إلى ثلاثة أروقة أحدها وهو الجنوى الشرقى يوازى جدار المحراب أما الروقان الآخران وهما الجنوى الغربى والشمالى الشرقى فعموديان على جدار المحراب ، هذا وقد قسم الرواق الجنوى الشرقى إلى ثلاثة أقسام غطى القسم الأوسط منهما بقبة مقامة على حطتين من المقرنصات بينما غطى القسمين الآخرين بقبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، كما يحتوى كل قسم من الأقسام الثلاثة على محراب أوسطها - أى المحاريب - هو أكبرها وأهمها (٤١) .

ومن المرجح أن يكون تخطيط مشهد القاسم الطيب يشبه تخطيط

إلى العصر المملوكى اعتماداً على تشابه أسلوبه المعمارى مع كل من مسجد الظاهر بيبرس ومدفن العزيز بن عبد السلام ت : ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م . واعتماداً على ما ذكره ابن الزيات من أن الشيخ على التكرورى (ت : ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) كان إماماً للجامع .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ١ - ص ٢٩٩ - ٣٠٣ .
(٤٠) يشبه تخطيط هذا المشهد تخطيط مشهد السيدة رقية من حيث وجود المربع الأوسط تعلوه القبة ويتوسط صدره المحراب والمساحتين المستطيلتين الجانبيتين إلا أنه لا توجد بهما محاريب كما فى السيدة رقية .

وقد وضعه (مونزيريه دى فيلار) فيما بين مشهد الجيوشى ومشهد السيدة رقية بينما أرخه كريزول فيما بين ١١٠٠ - ١١١٠ م .

Monneret de Villard: Op. Cit. p. 35. Fig. 63.

Creswell: Op. Cit. pp. 223 - 224.

(٤١) انظر المسقط الأفقى لهذا المشهد فى :

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٢ - ص ١٣٥ .

مشهد يحى الشبيه^(٤٢) ويتمثل التطور الذى حدث فى تخطيط هذين المشهدين فى وجود ثلاثة أروقة تحيط بمربع القبة أحدها موازى لجدار المحراب والآخرين عمودين على جدار المحراب ، كما يتمثل أيضاً فى وجود القبة الصغرى التى تعلو المربع الذى يتقدم المحراب ، ومن المعروف أن وضع القبة فى هذا المكان يذكرنا بالقباب التى تعلو المساحة المربعة التى تتقدم محاريب المساجد والمدارس^(٤٣) .

مما سبق نرى كيف تطور تخطيط المربع السفلى فى العصر الفاطمى تطوراً كبيراً فمن مجرد مربع مفتوح الجوانب الأربعة إلى مربع مفتوح من ثلاث جوانب فقط وبالجانب القبلى المحراب إلى مربع مغلق الجوانب فيما عدا الجانب الذى يحتوى على المدخل سواء أكان مواجهاً للمحراب أو فى أحد الجانبين الآخرين ، وأخيراً ما أضيف إلى هذا المربع من مساحتين مسقوفتين ورواق موازى لجدار المحراب ذى بائكة ثلاثية تشرف على الصحن الأوسط كما هو الحال فى مشهد السيدة رقية أو ثلاثة أروقة أحدها وهو القبلى موازى لجدار المحراب والآخرين عمودين على جدار المحراب كما هو الحال فى مشهد يحى الشبيه ومشهد القاسم الطيب .

٢ - تخطيط مربع القبة فى العصر الأيوونى :

يمكن أن نميز بين نوعين من أنواع التخطيط شاع استخدامها فى

(٤٢) سعد ماهر : نفس المرجع - ص ١٣٤ .

(٤٣) ومن أمثلة ذلك القبة التى تعلو المساحة المربعة التى تتقدم محراب كل من الجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله وجامع الظاهر بيبرس البندقدارى وجامع الناصر محمد بالقلعة وجامع الطنعا الماردانى وجامعى القاضى يحى رين الدين بالجانية وبولاق والقبة التى تعلو الأيوان الجنوبى الشرقى لمدرسة صرغتمش .

مدفن العصر الأيوبي وهما :

النوع الأول :

ويتكون من مساحة مربعة تحتوى على محاريب في الصدر ومدخل في الجهة الشمالية الشرقية يجاوره شباك^(٤٤) في نفس الجهة أما الشباك الذى في الجهة الشمالية الغربية فيعتقد أنه كان المدخل الأصلي لهذا المدفن^(٤٥) ويتضح هذا التخطيط في مدفن الإمام الشافعى ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م^(٤٦) (شكل ٥) .

والمثال الثانى لهذا النوع من التخطيط نجده في مدفن الصالح نجم الدين أيوب ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م الذى يتكون من مساحة مربعة يوجد بها فتحة باب في الجانب الشمالى الشرقى ومحراب في الجانب الجنوبى الشرقى وعدد من الشبايك في الجانبين بواقع ثلاثة شبايك مختلفة الأعماق في الجانب الشمالى الغربى المطل على الشارع وشباكين في الجانب الجنوبى الغربى يطل أحدهما على الواجهة الشمالية الغربية للمدرسة الصالحية (خلف سبيل خسرو باشا حالياً) بينما يطل الآخر على الإيوان الشمالى الغربى للمدرسة^(٤٧) (شكل ٨) .

النوع الثانى :

ويتكون من مساحة مربعة يتوسط صدرها المحراب وتوجد

(٤٤) يذكر الروفيسور كيرول أن هذا الشباك كان فى الأصل هو المرئ إلى المقابر الموحدة بالمدفن .

Creswell: Op Cit Vol 2. p. 68

Ibid p. 68. (٤٥)

Ibid. Fig. 30. (٤٦)

Creswell: Op. Cit Fig. 44. (٤٧)

بالجوانب الثلاثة الأخرى ثلاثة مداخل كما هو الحال في مدفن الخلفاء العباسيين^(٤٨) ومدفن شجر الدر^(٤٩) (شكلا ٦ ، ٧) .

مما سبق يمكن القول بأن تخطيط مربع القبة في العصر الإيوي لم يخرج عن النظام المعمول به في تخطيط مربع القبة في العصر الفاطمي وخاصة في نماذج المرحلة الثانية والمرحلة الثالثة^(٥٠) .

أما عن الدراسات الخاصة بالنسب المعمارية للقباب لاسيما فيما قبل العصر المملوكي فيلاحظ أنها محدودة جداً^(٥١) ويستثنى من ذلك الدراسة التي نشرت عن تناسب التكوين المعماري لقبة الصالح نجم الدين أيوب ٥٦٤٨ / ١٢٥٠ م .

وقد حاولت هذه الدراسة توضيح تناسب أجزاء المبنى والأسلوب الذي استخدمه المعماري في تحديد مقاساته والعلاقات بين أجزائه ، وبالفعل توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

(٤٨) لم يتبق من هذه المداخل سوى المدخل الشمالي الغربي المواجه للمحراب أما المدخل الشمالي الشرقي فقد حول إلى نافذة والمدخل الجنوبي الغربي قد سدّ بعد أن بنى مسجد السيدة نفسية ملاصقاً لهذه الجهة .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٢ - ص ٢٢٨ .

(٤٩) انظر المسقط الأفقي لهذين المدفين في

Creswell: Op. Cit. Fig. 40, 71.

(٥٠) انظر ص ٣٢٠ من هذا الكتاب .

(٥١) إن دراسة موضوع النسب في العمارة بصفة عامة ليست بالأمر الجديد ولا هي بالفكرة المتكررة فحتى عام ١٩٥٨ م بلغ عدد المؤلفات التي تم حصرها في هذا الموضوع حوالي تسعمائة ومع هذا فإن الأبحاث التي تتناول النسب في العمارة الإسلامية عامة وعمارة مصر الإسلامية خاصة محدودة جداً .

على غالب : تناسب التكوين المعماري لقبة الصالح نجم الدين أيوب - المجلة المعمارية السنة الثالثة العدد ٧ ، ٨ - ١٩٨٧ م - ص ٩٠ - هامش ٦ .

أولاً : المسقط الأفقى :

١ - يبعد حد حائط القبلة عن حد الفناء الداخلى للمدرسة بمسافة تساوى نصف عرض الفناء الداخلى (١٠,٤٥ م) أو ضلع المربع المقامة عليه القبة (١٠,٦٦ م) .

٢ - طول ضلع المربع المقامة عليه القبة حوالى ١٧ ذراعاً ($١٧ \times ٠,٦٢ = ١٠,٥٤$ م) فى الطبيعة ١٠,٦٦ ، ١٠,٦٦ ، ١٠,٧٢ ، ١٠,٧٥ م وقطر المربع يساوى حوالى ٢٤ ذراعاً ($٢٤ \times ٠,٦٢ = ١٤,٨٨$) فى الطبيعة ١٥,٠٨ م .

٣ - طول الحائط الشمالى الشرقى مساو تماماً للحائط الجنوبى الشرقى بينما الحائط الجنوبى الغربى والشمالى الغربى يزيدان قليلاً فى الطول مما يدفع إلى الاعتقاد بأنه لم يتم قياسهما بل حددا هندسياً .

٤ - المحراب يقسم حائط القبلة بالنسبة الذهبية ١ : ١,٦١٨ .

٥ - فتحة الباب تساوى (تُخمس) طول الحائط .

٦ - سمك حوائط القبة غير منتظم ولكنه فى حدود الدائرة المرسومة حول المربع الداخلى^(٥٢) .

ثانياً : القطاع :

١ - ارتفاع قاعدة القبة من الأرضية حتى بداية الإفريز الخشبي أسفل منطقة الانتقال يساوى المسافة من ركن القبة حتى

(٥٢) على غالب : المرجع السابق ص ٩٣ شكل ٣

- الطرف البعيد لتجويف المحراب وبذلك تكون نسبة هذا الارتفاع إلى طول ضلع المربع ٦,١٨ : ١ .
- ٢ - ارتفاع منطقة الانتقال يساوي تقريباً الارتفاع من قاعدة القبة حتى بداية الإفريز الخشبي وبذلك تكون نسبة هذا الارتفاع إلى طول ضلع المربع أيضاً ٠,٦١٨ : ١ .
- ٣ - منطقة الانتقال مكونة من ثلاث حطات متساوية في الارتفاع .
- ٤ - الارتفاع من الأرض حتى بداية العقد المتوج لتجويف المحراب يساوي المسافة من ركن القبة حتى الطرف القريب لتجويف المحراب .
- ٥ - تجويف المحراب يتوجه عقد حدوة فرس مدبب المسافة بين مركزية تساوي (ثلث) البحر^(٥٣) .
- ٦ - ارتفاع مركز القبة عن الأرض يساوي قطر المربع المقامة عليه القبة .
- ٧ - قطاع القبة مدبب المسافة بين المركزين فيه تساوي (خمس) البحر .
- ٨ - قمة القبة من الداخل ذات انحناء نصف قطره يساوي ربع البحر .

(٥٣) البحر هو فتحة العقد وإتساعه ويطلق عليه أيضاً الونز .

محمد حماد : الإنشاء والعمارة المجلد الأول - الطبعة الأولى - ١٩٦٤م - ص ١٢٧ شكل ٢١٩ .
توفيق عبد الجواد : معجم العمارة وإنشاء المباني ص ٢٢٤ - شكل ١٤٤ .

٩ - ارتفاع القبة والرقبة بالنسبة إلى القاعدة ومنطقة الانتقال معاً
يساوى ٠,٦١٨ : ١ .

١٠ - الارتفاع الكلى للقبة يساوى ضعف طول ضلع المربع المقامة
عليه^(٥٤) .

هذا وقد تأثرت القباب المملوكية بقبة الصالح نجم الدين أيوب
فنجد على سبيل المثال أن المقاس الأساسى وهو طول ضلع المربع المقامة
عليه القبة يتكرر فى عدد من القباب المملوكية مثل قبة الأشرف خليل
وقبة فاطمة خاتون وقبة الظاهر برقوق ، كما أن استخدام نسبة القطاع
الذهبى تتكرر كثيراً فى نسب قباب العصر المملوكى فنجد مثلاً أن
نسبة ارتفاع منطقة الانتقال من الداخل بالنسبة لطول ضلع المربع
الداخلى ١ : ١,٦١٨ والموجودة فى قبة الصالح نجم الدين أيوب تتكرر
بعد ذلك فى قبة جاني بك الأشرفى وقبة نصر الله وقبة برسباى
البجاسى .

كما أن نسبة ارتفاع القبة والرقبة معاً بالنسبة للارتفاع من منسوب
الأرض حتى نهاية منطقة الانتقال وهى أيضاً تساوى ١ : ١,٦١٨
تتكرر فى قباب جاني بك الأشرفى و برسباى البجاسى وأزدمر^(٥٥) .

٣ - تخطيط مربع القبة فى العصر المملوكى :

لم يخرج تخطيط مربع القبة فى مدافن العصر المملوكى عن النمط
التخطيطى المألوف من حيث وجود مساحة مربعة يتوسط صدرها
المحراب وعلى جانبيه شبايك أو خزانات حائطية (كتيبات) ويوجد

(٥٤) على غالب : المرجع السابق - ص ٩٣ - ٩٤ - شكل ٤ .

(٥٥) على غالب : نفس المرجع - ص ٩٤ .

انظر أيضاً ص ٥٨ ، ١٣٠ من هذا الكتاب .

أيضاً المدخل في أحد جوانب هذه المساحة المربعة أما الجوانب الأخرى فتحتوى على عدد من الدخلات أو الخزانات الحائطية أو الشبايك التي قد تختلف من مدفن لآخر سواء من حيث عددها أو اتساعها أو من حيث درجة عمقها أو أسلوب تغطيتها بالعقود المختلفة أو الأعتاب الحجرية المتنوعة ، وقد اتبع هذا النظام في تخطيط مربع القبة في معظم مدافن هذا العصر سواء أكانت مستقلة^(٥٦) أو كانت ملحقة بمنشأة من المنشآت الدينية^(٥٧) .

(٥٦) ومن أمثلة ذلك من عصر المماليك البحرية مربع قبة كل من الصواى (شكل ١١) وعلى بدر القرافى ، وطنتم حمصر أخضر (شكل ١٩) وقوصون ، وقتى تكرر بقا بقرافة السيوطى ، وقبة حوند طولبية (شكل ٢٧) .

ومن عصر المماليك الجراكسة مربع قبة كل من يونس الدوادار بباب الوداع وقبة يونس الدوادار بالصحراء المعروفة بقبة أنس (شكل ٢٩) وقبة سعد الدين بن غراب وكزل (كركر) بالصحراء وقبة جاني بك الأشرف بالصحراء (شكل ٣٦) وقبة خديجة أم الأشرف بالصحراء (شكل ٣٩) وقبة نصر الله كوز العسل (شكل ٤١) وقبة معبد الرفاعي بالصحراء (شكل ٣٨) وقبة السبع بنات بالصحراء (شكل ٤٢) وقبة السادات المشاهرة (قراقحا الحسنى) (شكل ٤٣) وقبة برسباى البجاسى (شكل ٤٥) وقبة عبد الله الدكرورى بقرافة الإمام الشافعى ، وقبة ازدمر (الزمر) (شكل ٥٠) وقبة قانصوة أبو سعيد بالصحراء (شكل ٥١) وقبة العادل طومانباى بالعباسية (شكل ٥٢) وقبة أزرمك (شكل ٥٧) وقبة سودون أمير مجلس (شكل ١١) وقبة عصفور (شكل ٥٩) وقبة ازدمر (شكل ٥٠) .

(٥٧) ومن أمثلة ذلك مربع القبة الملحقة بزاوية رين الدين يوسف (شكل ١٣) والقتبي الموحودتين على يمين ويسار كل من تربة خوند طغاي (شكل ٢٢) واىوان الموفى (شكل ١٤) والتربة السلطانية (شكل ٣٠) والقتين الموجودتين بطرف الإيوان الحسمى الته فى لخاقاه الناصر مرج بن برقوق (شكل ٣٣) ومربع القبة الملحقة بمنشأة كل من الأشرف برسباى بالصحراء (شكل ٣٧) والأشرف اينال بالصحراء أيضاً (شكل ٤٤) والأشرف قايتباى بالصحراء أيضاً (شكل ٤٧) والأمير كبير قرفماس بالصحراء أيضاً (شكل ٥٨) .

وإلى جانب هذا النمط التخطيطي الذي شاع في تخطيط معظم المدافن المملوكية وجد نمط آخر شبيهه بأنماط المدافن الإسلامية المبكرة من حيث وجود مربع ذو أربعة جوانب مفتوحة ويتوسط كل جانب منها باب معقود بعقد مدبب ، واتضح هذا النظام في مربع قبة كل من الأمير تنكزبغا^(٥٨) (بمنشئة ناصر) ٥٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م ومربع قبة يشبك أخى السلطان برسباى بالصحراء^(٥٩) وأخيراً في قبة الشيخ عبد الله المنوفى^(٦٠) ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م (أمام منشأة قايتباى بالصحراء) .

أما عن النسب المعمارية الخاصة بمربع القبة فيذكر (دلى) أن نسبة ارتفاع مربع القبة إلى عرضه من الداخل من $\frac{3}{4}$ إلى $\frac{1}{4}$ م وسمك جدارنه في القباب الصغيرة المساحة $\frac{1}{4}$ عرضه الداخلى و $\frac{1}{6}$ العرض في القباب التى يبلغ قطرها من الداخل ١٤ م أو ١٥ م . وقد ينقص هذا السمك في الصفف من ٢٠ إلى ٣٠ سم^(٦١) .

Hautecoeur et Wiet: Op. Cit. Vol. 2. p10.

(٥٨)

(٥٩) توجد هذه القبة في حوش السلطان برسباى الملحق بترته بالصحراء . انظر : (شكل ٣٧) لوحة ١٢٣ .

(٦٠) تتكون هذه القبة من مساحة مربعة تقريباً ٢,٥٢ م — ٢,٥٣ م فتح بكل ضلع من أضلاعها فتحة معقودة بعقد مدبب إلا أن الفتحة الشمالية الشرقية استغلت فيما بعد بوضع شبك بداخلها يرتفع من مستوى أرضية مربع القبة . ويبدو أن هذا التكوين قد شكك علماء لجنة حفظ الآثار في نسبة هذه القبة إلى العصر المملوكى فأرجعوها إلى العصر الفاطمى .

كراسات لجنة حفظ الآثار العربية - التقرير ٣٨ للقومسيون الثانى رقم ٨٧ لسنة ١٨٨٨ م - ص ٦٣ .

وقد أرجعت هذه القبة إلى عام ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م نظراً لتشابه زخارفها مع زخارف قبة السلطان قايتباى . انظر لوحة ١٢٧ .

(٦١) دلى : العمارة العربية في مصر - ص ٩ .

أما (د. مهندس على غالب) فقد قام بدراسة النسب المعمارية الخاصة بقباب العصر الجركسى المستقلة وانتهى منها إلى عدة نتائج جديدة تماماً منها :

١ - أن المقاس الإبتدائى أو نقطة الإنطلاق فى بناء الشكل المعمارى للقباب فى أغلب الأحيان هو طول ضلع المربع المقامة عليه القبة وإن كان أحياناً هو قطر القبة أو طول الضلع الخارجى .

٢ - طول الذراع السائد استخدامه فى أعمال البناء فى مصر فى العصور الوسطى يساوى ٦١ - ٦٢ سم أى ضعف القدم اليونانى السائد استخدامه فى العمارة البيزنطية ($٢ \times ٣٠,٨ = ٦١,٦$ سم) .

٣ - يتحدد سمك حوائط المربع المقامة عليه القبة إما بالدائرة المرسومة حول المربع الداخلى (كما هو الحال فى جاني بك - السبع بنات - أزرمك - أزدمر) أو بعلاقة عددية بسيطة بالنسبة لطول ضلع المربع كأن يكون ربع أو سدس طول الضلع (كما هو الحال فى نصر الله ، برسباى البجاسى ، عصفور وازدمر) .

٤ - أن ارتفاع مربع القبة من الداخلى يساوى طول ضلع المربع الداخلى كما هو الحال فى (جاني بك الأشرفى ، السبع بنات) أو يساوى قطر نصف المربع الداخلى (كما هو الحال فى برسباى البجاسى - أزرمك) أو يساوى ١,٦١٨ من طول الضلع (كما هو الحال فى عصفور وازدمر) (٦٢) .

(٦٢) على غالب : قباب القهجرة فى عصر المماليك الجراكسة ص ١٢ - ١٤ .

مقارنة بين تخطيط مربع القبة فى القرافة وفى المدينة :

ولو عقدنا مقارنة بين تخطيط مربع القبة فى القرافة وبين مثيله داخل القاهرة سواء أكان مستقلاً أو كان ملحقاً بمنشأة من المنشآت الدينية لوجدنا تشابهاً بينهما إلى حد كبير ويتضح هذا التشابه فى النقاط التالية :

١ - وجود المساحة المربعة التى تحتوى على المحراب والمدخل وعدد من الشبايك والدخلات والخزانات الحائطية .

٢ - عدم وجود محراب فى صدر مربع بعض القباب فى القرافة والمدينة ومن أمثلة ذلك مربع قبة كل من أحمد المهندار (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) والقاصد (٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م) وكوجك (٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) وشيخو (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) وتكربغا (بمنشية ناصر) (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) والقبة الجنوبية بمدرسة أم السلطان شعبان ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م وقبة برسباى (بالصاغة) ٨٢٩ هـ / ١٤٢٥ م ، وقبة يشبك أخو برسباى قبل ٨٣٣ هـ / ١٤٢٩ م ، وقبة الونائى منتصف القرن ٩ هـ / ١٥ م وقبة عمر بن القارض ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م ، وقبة الشيخ عبد الله المنوفى ٨٧٩ هـ / ١٤٧ م ، وقبة يعقوب شاه المهندار ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م وقبة قانصوة أبو سعيد بالمحجر ٩٠ هـ / ١٩٨ م ، وقبة أزدمر أوائل القرن ١٠ هـ / ١٦ م (٢٦٢).

ويتضح من هذه الإحصائية أن عدد المدافن المملوكية التى لا تحتوى على محاريب - على ضوء ماتم حصره حتى الآن - أربعة عشر مدفناً وليس تسعة مدافن كما تذكر (كسلر) (٢٦٣) .

(٦٢ م) استمرت المدافن التى تخلو من وجود المحاريب خلال العصر العثمانى أيضاً سواء بمدينة القاهرة أو بغيرها عن المدن المصرية الأخرى فى الوحيين القبلى والبحرى .
محمد حمزة : العمارة الإسلامية - المدخل - ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢٦٣) Kessler Funerary Architecture within the city pp 259 - 267

٣ - بروز مربع بعض القباب الملحقة عن سمت الجدار سواء في القرافة أو المدينة ، ومن أمثلة ذلك مربع قبة كل من الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) وبيبرس الجاشنكير وصرغتمش (٧٥٧هـ / ١٣٠٦م) والسلطان حسن (٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) وقانيبى المحمدي بالصليبية (٨١٦هـ / ١٤١٣م) وقايتباى بالصحراء (٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) وخايربك (٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) وقانيبى الرماح أمير أخور بميدان الرملة بالقلعة (٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) وأمير كبير قرقماس بالصحراء (٩١٢هـ / ١٥٠٦م) (انظر أشكال رقم : ٨ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٨) .

ويرى بعض العلماء أن سلاطين وأمراء الممالك وجدوا في إبراز الواجهة المطللة على الطريق عنصراً يضيف على قباهم أهمية ومن ثم انتقل هذا الإحساس إلى المعماريين فنقلوه سواء أكانت تلك المدافن ملاصقة لإيوان القبلة أو المقابل له ، وفي كلتا الحالتين كان كل ما يسعى إليه المعمار هو أن تشرف تلك المدافن على الطريق مهما كلفة هذا من مشاق في الموازنة بين تخطيط الطريق واتجاه القبلة وكأن المعمار يريد أن يكون السلطان أو الأمير قريباً مؤثراً في سير الأمور في مماته مثلما كان في حياته (٦٤) .

والواقع أن هذا القول مبالغ فيه إلى حد كبير لأنه توجد أمثلة أخرى مساوية لسمت الجدار ولا تبرز عنه تفوق الأمثلة البارزة عن سمت الجدار من حيث عددها^(٦٥) ، فكيف والحال هكذا

(٦٤) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٤٩١ .

(٦٥) ومن أمثلة ذلك مربع قبة كل من : قلاوون وزين الدين يوسف وسلا روسنجر =

أن نقول أن المعمار عمل على إبراز واجهات القباب عن قصد
وسعى إلى ذلك بشتى الطرق^(٦٦) .

٤ - تشابه قبة كل من برسباى بالصحراء (شكل ٣٧) وجانم
البهلوان بالسروجية (شكل ٤٨) من حيث وجودهما بالجهة
الشمالية الشرقية من المدرسة^(٦٧) إلا أنهما يختلفان في أن باب
الدخول لقبة برسباى يوجد في الجهة الشمالية من اللور قاعة
نفسها بينما يوجد في قبة جانم البهلوان في الجهة الشمالية من
الإيوان الشمالي الغربى .

ويمكن القول أنه على الرغم من التشابه الكبير في تخطيط مربع القبة
في القرافة والمدينة إلا أنه وجدت أنظمة تخطيطية لمربع القبة داخل
القاهرة لم توجد في القرافة ومنها :

١ - تخطيط مربع قبة المنصور قلاوون (٥٦٨٤ / ١٢٨٥ م)
الذى لم يتكرر في مصر بعد ذلك حيث يتوى هذا المربع على
أربعة دعائم مربعة وأربعة أعمدة مستديرة وقد رتبت بواقع
دعامتان ثم عمودان بالتبادل يحملان فوقهما عقوداً مديبة
تعلوها رقبة مثمثة بها نافذة في كل ضلع من أضلاعها ثم يعلو

= وأحمد المهندار والماس الحاجب واصلم البهائى وشيخو وأولجائى اليوسفى وبرقوق
بالحاسين واينال اليوسفى وعمود الكردى وسودون من زادة والمؤيد شيخ وبرسباى
بالصاغة وبالصحراء وجانى بك الأشرفى بالمغربلين ونغرى بردى بالصليبة وقجماس
الاسحاق والغورى وجانم البهلوان بالسروجية (أشكال ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ،
٢٠ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٤٩) .

(٦٦) محمد مصطفى نجيب : المرجع نفسه - ص ٤٩٠ - حاشية ٣ .

(٦٧) يتشابه تخطيط مدرسة كل من برسباى بالصحراء وجام البهلوان بالسروجية
فكل منهما يتكون من دور قاعه وسطى مغطاة بسقف خشبى يوجد بالجهة الجنوبية
الشرقية والشمالية الغربية إيوانين بواقع إيوان في كل جهة إلى جانب وجود قبة الدفن .

الرقبة المثمنة قبة مستديرة .

وقد ذكر علماء الآثار أن تخطيط هذه القبة يذكرنا بالعمائر الموجودة في بيت المقدس ودمشق ولاسيما قبة الصخرة المشرفة^(٦٨) إلا أن (أ.د. سعاد ماهر) ترى أن الفرق بين قبة الصخرة وقبة قلاوون كبير لأن تخطيط قبة الصخرة الخارجي مثنى بينما هو في قلاوون مربع كما أن القبة التي تعلو قبة الصخرة تقوم على أعمدة تعلوها رقبة مستديرة بينما هي في قبة قلاوون، رقبة مثنى (شكل ٦٩) .

٢ - وجود المدفنين المتجاورين كما هو الحال في سلاروسنجر الجاولى وخايربك ، وقد سبق أن ظهر هذا الوضع من قبل في الجعفرى وعاتكة من العصر الفاطمى^(٧٠) .

٣ - يتقدم مربع قبة كل من الأشرف خليل وفاطمة خاتون (شكلا ٩ ، ١٢) من الجهة الشمالية الغربية رواق خارجي غير مسقوف يوجد بصدرة على جانبي الباب الأوسط لمربع القبة محرايين^(٧١) .

ومن المعروف أن هذا الرواق ظهر من قبل يتقدم الواجهة

(٦٨) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية - ج ١ - ص ١١٨ .

كمال سامح : تطور القبة في العمارة الإسلامية - ص ٢٠ .

كونل : الفن الإسلامى - ترجمة أحمد موسى (بيروت ١٩٦٦ م) - ص ١٠٧ .

Lane - Pool: Art of the saracens in Egypt. pp. 73 - 74.

Hautecroux et Wiet: Op. Cit. pp. 260 - 261.

(٦٩) سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٣ - ص ٧٢ .

(٧٠) محمد مصطفى نجيب : مدرسة خاير بك - ص ٣٦ - ٣٧ .

(٧١) Creswell: Op. Cit. Vol. 2. pp. 214 - 216.

الشمالية الغربية لمشهد السيدة رقية ٥٢٧ / ١١٣٢ م إلا أنه مسقوف بسقف مسطح وليس مكشوفاً كما هو الحال في هذين المثالين .

٤ - يتقدم مربع قبة بيبرس الجاشنكير (شكل ١٦) مساحة مستطيلة مغطاة بسقف خشبي تحوى الواجهة الشمالية الغربية منها على ثلاثة شبايك أكبرها أوسطها تشرف على الشارع ، ونشاهد نفس الشيء في مربع قبة صرغتمش (شكل ٢٥) إلا أن التغطية هنا قباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية .

٥ - يتقدم مربع قبة علاء الدين كجك (٥٧٤٧ / ١٣٤٦ م) (شكل ٢١) من الجهة الجنوبية الشرقية إيوان حل محل المحراب في هذه الجهة عبارة عن مساحة مستطيلة تشرف على مربع القبة بعقد مدبب يمتد للداخل مكوناً هيئة قبة نصف دائري وبالجانب الشرقى من الإيوان شبك يشرف على صحن مسجد أقي سنقر^(٧٢) (الجامع الأزرق) على جانبيه خزانين حائطتين ، أما الجانبين الآخرين الجنوبي الغربى والشمالى الشرقى فيوجد بهما شباكين آخرين بواقع شبك بكل جانب .
والواقع أن تخطيط هذا المدفن يعد فريداً في نوعه حيث لم يتكرر بعد ذلك .

(٧٢) عن هذا المسجد انظر :

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٣ - ص ٢٣٥ - ٢٤٠ .
سامى عبد الحليم : مسجد الأمير أقي سنقر الناصرى (مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة - العدد ٣ ، ٤ - مايو ١٩٨٢ - ص ٢٦١ - ٢٩٨ .

٦ - يتكون مدفن صرغتمش (شكل ٢٥) من مساحة مربعة يحيط بها الأربع دخلات معقودة بعقد مدبب يتوسط الدخلة الجنوبية الشرقية حنية المحراب ، أما الدخلة الجنوبية الغربية فتحتوى فى نهايتها على شبك يشرف على الشارع ، وبنهاية الدخلة الشمالية الشرقية باب الدخول للمدفن ، أما الدخلة الشمالية الغربية فتؤدى إلى مساحة مستطيلة مسقوفة بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية وتشرف هذه المساحة على الشارع من خلال ثلاثة شبايك. هذا وقد ذكر أحد الباحثين أن هذا المدفن شيد على نظام الصحن والأربع إيوانات فى وضع متعامد^(٧٣) . والواقع أن هذا القول مبالغ فيه إلى حد كبير إذ أنه لا توجد أية علاقة بين تخطيط مدفن صرغتمش وبين تخطيط الصحن والأربع إيوانات هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن وجود الدخلات الأربع ربما كان بسبب كبر المساحة الأرضية فى هذه الجهة التى أراد المعمار إقامة المدفن ذو القبة بها ومن ثم قام المعمار باختزال الجزء المربع الذى يصلح لإقامة القبة فوقه وما تبقى من هذه المساحة استغله المعمار فى عمل هذه الدخلات التى ربما تكون قد خصصت لقراء القبة من المقرئين الحافظين لكتاب الله تعالى وعددهم « ثمانية وأربعين نفساً » كما قرر الواقف^(٧٤) .

(٧٣) حسن القصاص : المدرسة الصرغتمشية (رسالة ماحسنتر غير منشورة -
جامعة القاهرة ١٩٧٣م) - ص ١٠٥ .
(٧٤) عبد اللطيف إبراهيم : نصاب جديدان من وثيقة الأمير صرغتمش (مجلة
كبة الآداب مج ٢٧ - ٢٠١ مايو - ديسمبر ١٩٦٥م) مطبعة جامعة القاهرة
١٩٦٩م ص ١٥٠

٧ - يتم الوصول إلى مربع قبة أولجاي اليوسفى (شكل ٢٨) من باب على يسار الإيوان الشمالى الغربى يفضى إلى مساحة مستطيلة مسقوفة بسقف خشبى تحتوى على شباكين أحدهما بالجهة الشمالية الغربية يشرف على الشارع والآخر بالجهة الشمالية الشرقية يطل على داخل الإيوان الشمالى الغربى وتقع القبة على يسار هذه المساحة أى فى الجهة الشمالية الشرقية منها وربما كان كبر المساحة الأرضية فى هذه الجهة هو الذى أدى إلى وجود هذه المساحة فمن المعروف أن القبة تقام فوق مساحة مربعة ولما كانت مساحة الجزء المتبقى فى هذه الجهة كبيرة قام المعمار باختزال مساحة مربعة منها تصلح لإقامة القبة وما تبقى من هذه المساحة استغله المعمار فى عمل هذه المساحة ووضع بها باب الدخول والشباكين اللذين سبق الحديث عنهما .

٨ - ألحق المعمار بمربع قبة جاني بك بالخيامية ٥٨٣٠ / ١٤٢٦ م (شكل ٣٥) من الجهة الجنوبية الغربية دخلة عبارة عن مساحة مستطيلة مسقوفة بسقف خشبى وتحتوى على شباكين من الجانبين الجنوبى الغربى والشمالى الغربى بواقع شباك فى كل جانب ، أما الجانب الجنوبى الشرقى فتوجد به دخلة معقودة ، وربما كان كبر المساحة أيضاً هو السبب فى وجود مثل هذه الدخلة التى قد تستغل فى جلوس المقرئين بها .

٩ - يتقدم مربع قبة كل من الظاهر برقوق بالنحاسين والأشرف برسباى بالصاغة (شكلا ٣١ ، ٣٤) من الجهة الشمالية الغربية دورقاعة وإيوان يشرف عليها بعقد مدبب وبجانبى الدورقاعة الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى دخلتين غير مجوفتين

وينتهى كل منهما بهيئة مسطحة في الظاهر برقوق ، أما في الأشراف برسباى فالإيوان يوجد في الجانب الجنوبي الغربي من الدورقاعة وتوجد الدخلتين في كل من الجانبين الشمالي الغربي والشمالي الشرقي وهما معقودتين بعقد مدبب إلا أنهما مسدودتين (٧٥) .

١٠ - يتكون مربع قبة اينال اليوسفى ٧٩٤هـ / ١٣٩١م بالخيامية (شكل ٣٢) من مساحة مربعة يحيط بها أربع دخلات متسعة معقودة بعقد مدبب يتوسط الدخلة الجنوبية الشرقية حنية المحراب ، أما الدخلة الشمالية الغربية فتحوى على شبك تعلوها قمرية قنولية بسيطة (٧٦) ، والدخلة الجنوبية الغربية تحتوى على باب الدخول تعلوها قمرية مطولة (٧٧) . والدخلة الشمالية الشرقية لا تحتوى على شبايك أو قمريات ، ويمكن القول أن هذا التخطيط يشبه تخطيط مربع قبة صرغتمش السابق ذكره إلا أنه يختلف عنه من حيث عدم بروز القبة هنا في اينال اليوسفى عن سمت الجدار الشمالي الغربى المطل على الشارع ، أما في صرغتمش فتؤدى الدخلة الشمالية الغربية إلى مساحة مسقوفة بقباب ضحلة مقامة على مثلثات كروية ، وتشرف هذه المساحة التى تبرز عن سمت الجدار على الشارع من خلال ثلاثة شبايك وهذا لا نجده في اينال اليوسفى .

(٧٥) يمكن القول أن هذا التخطيط - المتمثل في وجود الدورقاعة والايوان والدخلتين يشبه التخطيط الموجود في كل من مدرسة اينال اليوسفى وعمود الاستادار (محمود الكردى) بالخيامية إلا أنه قد زاد عليه وجود ايوان القبلة في هاتين المدرستين وقد حل محل مربع القبة في الظاهر برقوق بالحاسين .

(٧٦) انظر ص ١١٧ من هذا الكتاب . .

(٧٧) انظر ص ١١٧ من هذا الكتاب .

هذا وقد قامت (كسلر) بدراسة العمارة الجنائزية داخل مدينة القاهرة وانتهت منها إلى النتائج التالية :

١ - كان الضريح يقام دائماً في الشارع الأساسى الذى يربط مجموعة من الأبنية بعضها ببعض ذلك أن الضريح كان يعد بمثابة رمز له مكانته ومن ثم يستلزم مكاناً بارزاً .

٢ - كان الوضع الأمثل للضريح فى داخل المدينة هو أن يقام فى الجانب المواجه للكعبة ونادراً ما كان يحدث ذلك بسبب صعوبة إيجاد قطعة أرض مناسبة للبناء داخل المدينة تتوفر لها - مثلما تتوفر للشارع فى نفس الوقت - مزية مواجهة الكعبة ولا بد أن الاهتمام بتحقيق مثل هذا الوضع قد أدى بالسلاطين إلى تشييد مجموعاتهم الجنائزية على الجانب الغربى من القصبية (وهى تقصد الجانب الغربى من قلاوون والناصر محمد والمؤيد شيخ وبرزباى) أما الجانب الشرقى من القصبية فلا يوجد به سوى ضريحين فقط وهما الأول والأخير (وتقصد ضريح الصالح أيوب والغورى) وسبب وضع الضريح الأول فى هذا الجانب هو أنه ألصق بعد وفاة السلطان الصالح أيوب بمدرسته التى كانت قد بنيت فى الجانب الشرقى ، أما ضريح الغورى فقد وضع فى هذا الجانب لأنه بنى بعد فترة قرنين ونصف من عمارة أضرحة المدينة ومن ثم فهو يظهر مرحلة متقدمة للآثار التذكارية التى أصبحت مستقلة لا تهتم بالوضع المثالى ولم يعد ملتصقاً بوحدة كبيرة .

٣ - عندما تكون المجموعة الجنائزية مشرفة على أكثر من شارع واحد كان الضريح يبنى على أحدهما الذى تكون له الشهرة الكبيرة وقت تشييد البناء ومن أمثلة ذلك عندما بنى الأمير شيخو مسجده وضريحه على تقاطع شارعين رئيسيين من شوارع

القاهرة الفاطمية المتأخرة لم يختار مكان ضريحه على شارع الشريان القديم الذى يسير من باب زويلة إلى القسطنطينية وإنما اختاره على شارع الصليبية المؤدى إلى المركز الجديد للحكم فى القلعة كما أنه لهذا السبب من الشهرة الكبيرة لموقع الميدان تحت القلعة اختاره السلطان حسن لبناء مجموعته الجنائزية كى تشرف على الميدان الذى كانت تحدث فيه العروض والأعياد منذ أيام والده (٧٨).

٤ - كان تخطيط أضرحة المدينة يسبب مصاعب للمعماريين لأنه يشرف على الشارع ومن ثم يشكل جزءاً من واجهة المجموعة المتصلة به كما أنه كان لابد أن يتجه ناحية الكعبة (مكة) ونظراً لوجود محاريب بداخله ومن ثم خضع إلى نفس المعالجات المعمارية التى استهدفت تكييف الأبنية الدينية الأصيلة فى المدينة لاعتبارات تخطيط الشوارع وقد تم ذلك بطريقتين : الأولى وهى الأكثر شيوعاً كانت تتم بزيادة سمك الحائط بحيث يسير وجهه الخارجى بمحاذاة الشارع ووجهه الداخلى يتجه تجاه الكعبة وقد نفذت هذه الطريقة بالفعل فى الأضرحة الأولى إلا أنها أدت إلى حدوث تشوهات بنائية على الفتحات المشرفة على الشارع فأصبحت غير ملائمة ، ومن أمثلة ذلك ما نراه فى ضريح الصالح أيوب فقد أصبحت فتحات الشبايك كما لو تكون ممرات يبلغ طول كل واحد منها حوالى ٥ م (٧٩) .

والطريقة الثانية هى موافقة الواجهة لامتداد الشارع وكذا المدخل

Kessler: Op. Cit. pp. 261 263.

(٧٨)

Ibid. p. 265.

(٧٩)

على أن يعدل وضع المبنى من الداخل طبقاً لاتجاه القبلة إلى الكعبة دون التقيد أو الارتباط بكتلة صلبة من البناء بين أوجه الحوائط المختلفة وقد استغل المعمار الفرق بين هذه الأوجه في بناء حجرات وممرات ومداخل وربما كانت هذه الطريقة سبباً فيما نراه من ازدياد الانكسارات في المداخل كما استطاع أيضاً أن يبنى بهذه الطريقة في المواضع التي لا تتوافق مع اتجاه القبلة^(٨٠). ومن أمثلة ذلك مدرسة وضريح تغرى بردى بالصليية ١٤٤٤ هـ / ١٤٤٠ م حيث يتلاقى داخل المبنى مع الواجهة في زاوية مقدارها ٥٤٥° ، وعلى الرغم من محاولة التكيف هذه إلا أن محاريب بعض الأضرحة لم توجه التوجيه الصحيح تجاه الكعبة كما هو الحال في ضريح الماس (١٣٢٩ م / ١٣٣٠ هـ) حيث بلغ الفرق بينه وبين محراب المسجد حوالي ٥٢٢° تقريباً ، وفي مسجد وضريح ايدمر البهلوان (قبل ١٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م) يبلغ الفرق بين المحاريب نحو ٥١٠° وفي مسجد وضريح سودون القسروى (قبل ١٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م) يبلغ الفرق تقريباً ٥١٨° وفي مدرسة وضريح خايربك (١٥٠٨ هـ / ١٥٠٢ م) تبلغ درجة الانحراف تقريباً نحو ٥٢٩°^(٨١).

ويمكن الرد على النقطة الثانية التي أثارها (كسلر) فنقول أن وضع المحاريب في المدافن يرتبط بما قرره كتب السنة والفقهاء من وجوب توجيه رأس الميت ناحية القبلة ومن ثم وجدت المحاريب في مربع القبلة - كترديد للمحاريب الموجودة في فساقى الدفن - سواء

Kessler: Op. Cit. p. 265.

(٨٠)

سيف النصر أبو الفتوح : مداخل العمائر الملكية بالقاهرة (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٧٥ م) ص ١٦ .

Kessler: Op. Cit. pp. 265 266.

(٨١)

في داخل المدينة أو في القرافة في نفس الجهة التي توجد فيها محاريب المنشآت الملحق بها هذه المدافن سواء أكانت في شرق الشارع أو غربه ولما كان المعمار قد حرص على أن تشرف المدافن على الشارع الرئيسي أياً كان موقع المنشأة بالنسبة له ومن ثم احتل المدفن جزءاً من الواجهة المطلة على الشارع ، فإذا كانت الواجهة الجنوبية الشرقية أى واجهة جدار القبلة هي التي تشرف على الشارع وجدنا المدافن تشرف على الشارع من هذه الواجهة أيضاً وقد تحقق هذا الوضع في معظم المدافن الملحقة بالمنشآت التي بنيت في غرب الشارع الرئيسي سواء في داخل المدينة أو في القرافة^(٨٢) ويدل هذا الأمر على أن إشراف المدفن على الشارع من الجهة الجنوبية الشرقية لم يكن قاصراً على قصبة القاهرة فقط كما تذكر (كسلر) .

أما إذا كانت الواجهة الشمالية الغربية هي التي تشرف على الشارع نجد المدافن تشرف على الشارع من هذه الواجهة أيضاً وقد تحقق هذا الوضع في معظم المدافن الملحقة بالمنشآت التي بنيت في شرق الشارع الرئيسي في داخل المدينة أو في القرافة^(٨٣) .

(٨٢) ومن أمثلة ذلك مدفن كل من قلاوون والناصر محمد وبرقوق والمؤيد شيخ وبرساي بالصاغة ومدفن أحمد المهندار وأم السلطان شعبان وفي المدفن الملحقين بخانقاه الناصر فرج بالصحراء وكذلك في مدفن كل من السلطان اينال والسلطان قايتباي وأمر كبير قرعماس بالصحراء وأيضاً في مدفن زاوية زين الدين يوسف يوسف (بشارع القادرية) .

(٨٣) ومن أمثلة ذلك مدفن كل من الصالح نجم الدين أيوب واينال اليوسفي ومحمود الاستادار (محمود الكردي) وجاني بك بالمغربلين والعوري بالغورية وجانم البهلوان بالسروحية ويدل هذا على تعدد المدافن التي بنيت في شرق القصبة لا كما تذكر (كسلر) أنهما مدفين فقط . ومن أمثلة ذلك أيضاً مدفن كل من بيبرس الجاشنكير والماس وصرغتمش واولجاي اليوسفي ونمراس الأحمدي (بالسيدة زينب) وخاير بك ومدفن الأشرف برساي بالصحراء الذي بنى إلى الشرق من الطريق السلوك فيما بين القلعة وقبة =

وإذا كانت الواجهة الجنوبية الغربية هلى التى تشرف على الشارع الرئيسى نجد المدافن تشرف على الشارع من هذه الواجهة^(٨٤) .

وإذا كانت الواجهة الشمالية الشرقية هى التى تشرف على الشارع الرئيسى نجد المدافن تشرف على الشارع من هذه الواجهة^(٨٥) .

وفى ضوء ما سبق يمكن القول بأن موقع المدفن الملحق بالمنشأة الدينية قد ارتبط بازدياد أهمية الشارع فى العصر المملوكى ومن ثم حرص المعمارين على وضع مدافن السلاطين والأمراء فى الواجهات التى تشرف على الشارع الرئيسى سواء أكانت واجهة القبلة أو أى واجهة من الواجهات الثلاثة الأخرى وفى كلتا الحالتين يتم توجيه المحراب ناحية الكعبة المعظمة .

ثالثاً : مناطق الانتقال :

أولاً : منطقة الانتقال من الداخلى :

تعد منطقة الانتقال من عناصر الإنشاء الهامة التى لعبت دوراً بارزاً فى تطور القباب الإسلامية وتنحصر أهميتها فى أنها تساعد على تحويل مربع القبة السفلى إما إلى دائرة ترتفع فوقها رقبة مستديرة السطح الداخلى تلتحم مع دائرة القبة التى تعلوها وإما إلى شكل مثنى ترتفع فوقه رقبة سطحها الداخلى يتكون من ثمانية أضلاع^(٨٦) ، وعلى ذلك

= النص .

(٨٤) ومن أمثلة ذلك مدفن كل من شيخوخو تغرى بردى بالصليية وقجماس الأستخاقى بالدرب الأحمر .

(٨٥) ومن أمثلة ذلك مدفنا كل من سلاروسنجر الجاولى (بشارع مراسينا) وقانيباى المحمدى بالصليية .

(٨٦) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية - ص ٥٦١ - ٥٦٢ .

فمنطقة الانتقال تسهل عملية إقامة القبة فوق مساحة مربعة . وعلى الرغم من تعدد أنواع مناطق الانتقال^(٨٧) إلا أن نوعين منها هما اللذان شاع استخدامهما في شرق وغرب العالم الإسلامي وهما المثلثات الكروية^(٨٨)

(٨٧) ومن هذه الأنواع التي لم يكن لها دور بارز في العمارة الإسلامية مناطق الانتقال المكونة من بلاطة أفقية مثلثة يتميز بعضها بحافة مستقيمة يتحول بها المربع إلى مثلث تقوم عليه رقبة القبة ويتميز بعضها الآخر بحافة مقوسة يتحول بها المربع إلى دائرة تقوم عليها رقبة مستديرة أو مناطق الانتقال المكونة من مثلث هرمي مقلوب أو من حنايا نصف مخروطية ، وقد ظهرت هذه الأنواع قبل العصر الإسلامي وفي بداية العصر الإسلامي كما وجدت نماذج لها في مقابر أسوان .

فريد شافعي : نفس المرجع - ص ٥٥٣ ، ٥٦١ - ش ٣٨٠ - ٣٨٧ .

(٨٨) لم يكن لهذا النوع من مناطق الانتقال دور بارز في تطور القبة المدفن في العمارة الإسلامية في مصر كما أن أمثلتها الباقية قليلة جداً ولا سيما قبل العصر التركي العثماني أما عن أصل هذه المثلثات وابتكارها فقد تناوله كثير من العلماء والباحثين وعلى رأسهم (البروفيسور كرزول) الذي عقد فصلاً كبيراً استعرض فيه المراحل المختلفة لنشأة وتطور القباب المقامة على مثلثات كروية في مختلف الأقاليم الشرقية والغربية .

Creswell: Early Muslim Architecture. Vol. I. pp. 450 - 471.

وذكر (كرزول) أن أقدم مثال للمثلثات الكروية يوجد في قصر النوايجس في عمان وقد أرجعه بعض العلماء إلى ق ٢ م بينما أرجعه هو إلى نهاية ق ٣ م حيث شاع استخدامه في سوريا وفلسطين .

Ibid. p. 460.

ومن قام بدراسة هذا النوع من مناطق الانتقال وذكر أمثلة لها كلا من :

محمد عبد العزيز مرزوق : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك (القاهرة ١٩٤٢ م

ص ٧٤ .

الماركسي دي فوكويه : العمارة في سوريا الوسطى - ترجمة محمود مرابط ١٩٤٤ م

ص ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٠ .

فريد شافعي : المرجع السابق - ص ١٣٩ ، ١٤٢ .

صالح لمعي مصطفى : التراث المعماري الإسلامي في مصر - ص ١٠١ القباب

ص ٥ .

والحنايا الركنية^(٨٩) الساسانية التي بلغت أقصى مراحل

Papadopoulo: Islam and Muslim Art. p. 246. =

أما عن أقدم أمثلة المثلثات الكروية في العصر الإسلامي فتوجد في الحجرة الساخنة في كل من قصر عمره وحمام الصرح من نهاية العصر الأموي .
كالم سابع : تطور القبة في العمارة الإسلامية - ص ٥ .
فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية - ص ١٤٢ .

Hassan Al-Basha: The Muqarnas A Genuine Characteristic of Islamic Art Its Early Use and Development in Domes (Cairo, 1956) p. 35.

ومن أمثلة المثلثات الكروية في العمارة الإسلامية في مصر أبواب القاهرة الفاطمية (٤٨٠-٤٨٥ هـ / ١٠٨٧-١٠٩٢ م) والجامع الأقمري (٥١٩ هـ - / ١١٢٥ م)، وخانقاه فرج بن برفوق وقانيباى الرماح أمير أخور وغيرهما .
كالم سابع : المرجع السابق - ص ١٤ ، ١٥ .

صالح لمعي : التراث المعماري الإسلامي في مصر - ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٨٩) اختلف العلماء فيما بينهم بشأن ابتكار هذه الحنايا وإلى أي الحضارات يرجع فضل السبق في هذا الابتكار وأدلى كل منهم بدلوه وقامت على أساس ذلك نظريات كثيرة فمنهم من نسبها إلى بلاد الفرس ومنهم من نسبها إلى الرومان ومنهم من نسبها إلى أرمينيا وبلاد ما بين النهرين ومنهم من ذكر أن بلاد آشور وخراسان هي صاحبة الفضل في هذا الابتكار ومنهم من اعتقد أن لسوريا بعض الفضل في تصميم هذا العنصر المعماري ، وقد قام (د. أحمد فكري) بعرض هذه النظريات ومناقشتها مناقشة موضوعية انتهى منها إلى القول بأنه اجتمع في قباب القصور الساسانية أول مثل صريح وواضح لشكل الحنايا الركنية التي كان لها تأثيرها الواضح على الحنايا الإسلامية المبكرة .

أحمد فكري : المسجد الجامع بالقيروان (١٩٣٦ م) - ص ١٠٠ - ١٠١ .
وعقد (البروفيسور كريزول) فصلاً كبيراً في كتابه صفحات (١٠١ - ١١٨) ناقش فيه ابتكار الحنايا الساسانية وتطورها وانتهى إلى القول بأن هذه الحنايا ابتكرت في فارس على الأقل في بداية ق ٣ م . وانتشرت بعد ذلك في ق ٥ م في الأقاليم الشرقية للامبراطورية البيزنطية ثم في أرمينيا في ق ٧ م .

Creswell Op. Cit. Vol. 2. p. 118.

وذكر (كريزول) أن هذا الحل عرف أول ما عرف في القصور الساسانية مثل فيروز آباد وسرفستان وشيرين وفرشاد .

Ibid. p. 101. =

تطورها في العصر الإسلامي (٩٠) .

= وقد أخذ بهذا الرأي عالية العلماء والباحثين العرب والاجانب ومنهم :
محمد عبد العزيز مرزوق : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك - ص ٧٤ .
كريستن : إيران في عهد الساسانيين - (ترجمة يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام
١٩٥٧ م) - ص ٨١ .
كآل سامح : العمارة في صدر الإسلام - ص ٨٠ - ٨٣ .
فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية - ص ١٦٩ .
صالح لمعي : التراث المعماري الإسلامي في مصر - ص ١٠٢ .
محمد عبد القادر محمد : إيران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الإسلامي - الطبعة
الأولى ١٩٨٢ م - ص ٢٢٥ .

Pope: Asurvey of Persion Art. Vol. I. pp. 501 - 504.

Sameh (K) : Stalactites in Muslim Architecture (Cairo, 1954). pp. 129 - 130.

Papadopula: Op. Cit. p. 246.

(٩٠) يعتبر استخدام الحنايا الركنية كمنطقة انتقال من التأثيرات الساسانية في العمارة الإسلامية .

كآل سامح : العمارة الفارسية القديمة (مجلة المنتدى - السنة الأولى - العدد الأول
١٩٧٨ م) - ص ٦٨ - ٧٠ .

ويوجد أقدم مثل مؤكد التاريخ لاستخدام الحنايا الركنية في العصر الإسلامي في
المدخل الرئيسي لقصر الحوسق الخاقاني (٥٢٢١ / ٨٣٦ م) المعروف بباب العامة .

فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية - ص ٢٠٠ - ٥٦١ .

كآل سامح : العمارة الإسلامية في مصر - ص ٨٣ .

سيف النصر أبو الفتوح : مداخل العمائر المملوكية - ص ١٠٣ .

أما د. أحمد فكري فيذكر أن أقدم مثل عربي معروف لها يظهر في قبة المحراب بمسجد

القيروان (٥٢٢١ / ٨٣٦ م) .

أحمد فكري : المسجد الجامع بالقيروان - ص ١٠٢ . مساجد القاهرة ومدارسها

١ العصر الفاطمي (القاهرة ١٩٦٥ م) - ص ١٦٣ .

ولم يوافق كرزول على إرجاع قبة القيروان إلى تاريخ ٥٢٢١ / ٨٣٦ م . وإنما أرجعها

إلى تاريخ متأخر عن ذلك عندما حدد المسح زيادة الله الأعلى أو تكون من أعمال

أه إبراهيم أحمد الأعلى ٥٢٤٨ / ٨٦٢ م . اعتماداً على التشابه الكبر بينها وبين قبة =

(أ) مناطق الانتقال في العصر الفاطمي :

بدأت مناطق انتقال القباب الفاطمية بسيطة جداً فهي عبارة عن أربع حنايا كبيرة بواقع حنية في كل ركن من أركان المربع السفلى معقودة بعقد مدبب وعلى ذلك فتشبه المحاريب ومن ناحية الارتفاع تساوى ربع ارتفاع أى كتف من الاكتاف الأربعة المكونة لمربع القبّة وهي نسبة أخذت في التناقص بعد ذلك بشكل ملحوظ ، وقد اتبع هذا الأسلوب بقباب رواق القبلة بمسجد الحاكم (٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م) وبالقباب السبع (٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م) وبعض قباب أسوان وبمشهد الجيوشى بقبة المدفن وبالقبّة التي تعلو المحراب (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) وبقبة الحافظ بالأزهر (٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م) (لوحة ٤) وبمشهد أخوه يوسف أوائل ق ٥٦ / ١٢ م (لوحة ٢) وبقبة الحصواتى (شكل ٦١) منتصف ق ٥٦ / ١٢ م^(٩١) (لوحة ٣) وتطورت مناطق الانتقال الفاطمية تطوراً كبيراً في الثلث

محراب جامع الزيتونة .

Creswell: Op. Cit. Vol. 2. p. 323.

أما عن أقدم مثل مؤكد التاريخ لاستخدام الحنايا الركنية في المدافن ذات القباب فيوجد في قبة الصليبية في سامرا (٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م) .

كالمسماح : العمارة الإسلامية في مصر - ص ٨٣ .

عيسى سلمان : العمارات العربية الإسلامية في العراق - ج ٢ - ص ٧١ - ٧٢ .
(٩١) حسن عبد الوهاب : مميزات العمارة الإسلامية في القاهرة (مؤتمر الآثار في

البلاد العربية - دمشق ١٩٤٧ م) - ص ١٧٨ .

كالمسماح : تطور القبّة في العمارة الإسلامية - ص ١١ - ١٣ .

أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها - ج ١ - ص ١٦٥ .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ١ - ص ٢٤٣ - ج ٢ -

ص ١١ ، ١٠٧ .

حسن نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة - ص ٧٠ .

الأخير من ق ٥٥ / ١١ م فشغلت أركانها بمحطتين من الحنايا المعقودة
بعقد مديب تتكون الحطة الأولى من ثلاث حنايا تعلوها حنية
واحدة (٩٢) .

وقد بدأ ظهور هذا النظام في منطقة انتقال قبة الشيخ يونس (٩٣)

محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

Briggs (M): Muhammadan Architecture. p. 195.

Houtecoeur et Wiet: Les Mosques due Caire. p. 243.

Davis: The Mosques of Cairo. p. 20.

Creswell: The Muslim Architecture of Egypt. Vol. I. pp. 108, 235, 236, 66.

Shafei: The Mashhad al Juyushi, p. 244.

(٩٢) حسن عبد الوهاب : التأثيرات المعمارية بين آثار سوريا ومصر (المجلس
الأعلى لرعاية الفنون والآداب - الحلقات الدراسية - التاريخ والآثار - الحلقة الدراسية
الأولى ٤ ٩ فبراير ١٩٦١ م) - ص ٨٩ .

كال سائح : تطور الفنة في العمارة الإسلامية - ص ١٤ - ١٥ .

أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها - ج ١ - ص ١٦٥ - ١٦٦ - ج ٢ -
ص ٨٥ .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٢ - ص ١١٦ ، ١٢٠ ،
١٣٣ .

صالح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى فى مصر - ص ١٠٢ .

حسنى نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية - ص ٧٠ .

محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٤٩٤ .

Briggs: Op. Cit. p. 195.

Hautecoeur et Wiet: Cit p. 243.

Davis: Op. Cit. p. 21.

Creswell: Op. Cit. pp. 227, 229, 234, 248, 264.

Sameh: Stalactites. p. 131.

Ragib: Les sonctuaires des cens de la Famille dans la cite des Morts au
Caire (Roma, 1977). p. 62., le Musolees Fatimides. pp. 12, 14, 20, 26.

(٩٣) يذكر بعض العلماء أن هذه الحنايا المتطورة ظهرت أولاً في منطقة انتقال

كيسة أوى سيمى فى مصر القديمة التى ترجع إلى الفترة ما بين (١٠٩٤ - ١١٢١)

أوى فى نفس الفترة التى ظهرت فيها مطقة انتقال قبة المعمرى وعاتكة =

(٥٤٨٧ / ١٠٩٤ م) (لوحة ٥) ، واتبع هذا الأسلوب بعد ذلك في منطقة انتقال قبة كل من الجعفرى وعائكة حوالى (٥٥١٤ - ٥٥١٩ / ١١٢٠ - ١١٢٥ م) (لوحتا ٦ ، ٧) والقبة الفاطمية بالجمالية (أمام خانقاه بيبرس الجاشنكير) حوالى ٥٥٢٧ / ١١٣٣ م (لوحة ٨) وقبة السيدة رقية (٥٥٢٧ / ١١٣٣ م) (لوحة ٨ م) وقبتى مشهد يحيى الشيبه حوالى - (٥٥٤٥ / ١١٥٠ م) (لوحة ٩) وعند تحليلنا لمناطق الانتقال المتطورة نجد أنها عبارة عن عقد ثلاثى الفصوص توجد بين ريشته الجانبيتين حنية تشبه الحنية التى توجد فى كل ركن من أركان مناطق الانتقال الفاطمية البسيطة الأولى أى أن المعمار عندما أراد أن يطور منطقة الانتقال أخذ الحنية الكبيرة القديمة ووضعها فى موضعها - أى بأعلى كل ركن من أركان المربع ولكن بصورة أصغر من الصورة الأولى - وجعلها محصورة بين ريشته العقد الثلاثى الذى يعتبر إضافة جديدة لمناطق الانتقال فى هذه الفترة . ولو تتبعنا ظهور هذا العقد نجد أنه ظهر فى شرق العالم الإسلامى فى إيران وخاصة بمدينة يزد بمسجدها الجامع (٥٤٢٩ / ١٠٣٧ م) (لوحتا ١١ ، ١٢) وفى المسجد الجامع بمدينة أردستان^(٩٤) (٤٤٧ - ٤٥٠ / ١٠٥٥ - ١٠٥٨ م) وفى المسجد الجامع فى أصفهان^(٩٥) (٤٨١ / ١٠٨٨ م)

Hauteceour et Wiet: Op. Cit. p. 243.

Creswell: Op. Cit. pp. 231 - 232. Fig. 130 - 131.

والواقع أن منطقة انتقال قبة الشيخ يونس ٥٤٨٧ / ١٠٩٤ م . تسبق مثلها فى كنية أى سيفين مما ينفى ما ذكره هؤلاء العلماء .

(٩٤) انظر صورة منطقة الانتقال هذه فى :

Aslanapa (O): Türk Sanati. Istanbul, 1984. p. 67.

Creswell: Op. Cit. p. 261.

(٩٥)

Hassan Al-Basha: Op. Ci.: pp. 35 - 36.

(لوحة ١٣) وتتابع ظهوره بعد ذلك في كثير من المنشآت (٩٦) .

مما سبق يمكن القول بأن العقد الثلاثي استعمل في نشأته كمنطقة انتقال لقباب المساجد الإيرانية ثم استعمل في مصر كمنطقة انتقال في المدافن الفاطمية ذى القباب إلا أنه يلاحظ أن مناطق الانتقال الفاطمية التي ظهر فيها هذا العقد تتميز بأنها صغيرة الحجم إذا ما قورنت بمثلتها الإيرانية كما أنها تمتاز بظهور حواف قائمة الزوايا تفصل بين القوسين السفليين والقوس العلوى وإن كانت هذه الحواف ظهرت بمنطقة انتقال قبة المسجد الجامع بأصفهان إلا أنها غير محسوسة وذلك لصغرها ولضخامة منطقة الانتقال مما ساعد على عدم ظهورها بالشكل الواضح الموجود في مناطق انتقال القباب الفاطمية (٩٧) .

ونضيف على ذلك فنقول أن العقد الثلاثي في المساجد الإيرانية قد تميز بتحديدته بعقد مدبب القمة مع امتداده لأسفل ليتناسب مع امتداد منطقة الانتقال نفسها .

هذا وقد اختلف العلماء والباحثون بشأن تطور مناطق الانتقال الفاطمية وفيما إذا كان هذا التطور ابتكار محلي أم أنه يرجع إلى تأثيرات خارجية ؟ .

يذكر (كريسول) أن هذا الابتكار كان كله ابتكاراً محلياً ومن ثم لا مجال مطلقاً للنظرية القديمة الخاصة بتأثير العمارة الفارسية على

محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير ترقماس (الملحق الوثائقي) - ص ٢٠٣ .
(٩٦) عن هذه المنشآت انظر :

Creswell: Op. Cit. p. 252.

Aslanapa: Op. Cit. p. 61 - 62 - 65.

(٩٧) محمد مصطفى نجيب : المرجع السابق - ص ٢٠٣ .

العمارة الفاطمية^(٩٨)، وعلى عكس ذلك نجد بعض العلماء يؤكد وجود هذا التأثير الذي ظهر في مناطق الانتقال الفاطمية وأيضاً في كنيسة أمى سيفين ومكان التبعيد لسان جورج في نفس الكنيسة^(٩٩).

وعلاوة على ذلك يذكر (أ.د. حسن الباشا) أن المقرنصات الإيرانية تطورت بصورة أوضح خارج إيران نفسها وربما حدث ذلك في مصر بصورة أوضح^(١٠٠).

والواقع أن التأثيرات الإيرانية قد وجدت طريقها إلى مصر في العصر الفاطمي سواء على الفنون التطبيقية المختلفة أو على المنشآت الدينية (كواجهة الجامع الأحمر والصالح طلائع) وربما كان للعلاقات الطيبة بين الفاطميين في القاهرة والبويهيين في إيران والعراق (لاسيما وأن كليهما يدين بالمذهب الشيعي ومن ثم اعترف عضد الدولة البويهبي بصحة نسب الخليفة الفاطمي العزيز بالله) أثرها في وجود هذه التأثيرات الفنية، ومن المعروف أيضاً أنه كانت هناك صادرات وواردات بين مصر وإيران أشار إليها الرحالة «ناصرى خسرو» الذي زار مصر في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر^(١٠١). ونضيف إلى ذلك فنقول أن الفاطميين أخذوا الكثير عن الإيرانيين في عاداتهم ورسومهم حتى جعلوا بلاطهم أشبه ما يكون ببلاط ملوك الفرس كما كان الخليفة الفاطمي يتشبه بكسرى فإذا تهيأ للانعقاد مجلسه جلس خلف ستار ثم

Creswell: Op. Cit. p. 253. (٩٨)

Sameh: Stalactites. p. 131. (٩٩)

Abouseif: Four Domes of the Late Mamluk Period. pp. 194 - 195.

Hassan Al-Basha: Op. Cit. p. 36. (١٠٠)

(١٠١) محمد عبد العزيز مرزوق : التأثيرات المتبادلة في الفنون بين مصر وإيران

عبر العصور (كتاب جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وإيران القاهرة ١٩٧٤)
ص ٢٥ - ٣١ .

يرفع الستار ويرتل جماعة من المقرئين القرآن بصوت مرتفع ويذكرنا ذلك الستار بالستار الذى كان يفصل بين ملوك الفرس ومن يحضرون مجالسهم كما كان هناك شخص موكلاً برفع ذلك الستار و برفع صوته قبل رفع الستار نفسه (١٠٢) .

ومادام الأمر كذلك فليس غريباً أن تظهر العقود الثلاثية فى مناطق الانتقال الفاطمية بعد ظهورها بمثلتها فى إيران بما يقرب من ستين عاماً وإن كانت قد ظهرت بشكل مختلف عنها وذلك بسبب اختلاف طبيعة التكوين المعمارى لكل منهما الناتج من اختلاف مساحة مربع القبة فبينما هى كبيرة فى المساجد الإيرانية ومن ثم استلزم ذلك ضخامة منطقة الانتقال وارتفاعها حتى تستطيع أن تتحمل إقامة القبة الضخمة فوقها نجدها قد صغرت فى القباب الفاطمية كنتيجة طبيعية لصغر حجم مربع القبة ومن ثم ظهرت بهذا الشكل المختلف إلى حد ما عن مناطق الانتقال الإيرانية وقد سبق توضيح ذلك .

وعلى النقيض من الآراء السابقة يذكر (د. أحمد فكرى) أن مناطق الانتقال الفاطمية مقتبسة من مثلتها المغربية واستدل على ذلك بتضليعات القباب الفاطمية التى تشبه قبتى المحراب فى القيروان والزيتونة وبأن المظهر الخارجى للقبة واحد فى كليهما فقد تم التحول من المربع إلى المثلث عن طريق التدرج (١٠٣) .

والواقع أن هذا القول إذا كان يصدق على مناطق الانتقال الفاطمية الأولى البسيطة وعلى التضليعات وتدرج منطقة الانتقال من الخارج

(١٠٢) حسين مجيب المصرى : إيران ومصر عبر التاريخ - القاهرة ١٩٧٢ م
ص ٢٩ - ٣٠ .

(١٠٣) أحمد فكرى : مساحد القاهرة ومدارسها - ج ١ - ص ١٦٤ - ١٦٦ .

إلا أنه لا يصدق على مناطق الانتقال الفاطمية المتطورة التي بعدت الصلة بينها وبين مناطق الانتقال التونسية التي تشبه نميلتها في مناطق الانتقال الفاطمية الأولى البسيطة من حيث وجود أربع حنايا بواقع حنية في كل ركن من الأركان هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن مناطق انتقال القباب التونسية لم تتطور وظلت على شكل الحنية الركنية الواحدة في جميع مراحل العمارة الإسلامية هناك (١٠٤).

مما سبق يمكن القول بأن التطور الذي حدث لمناطق الانتقال الفاطمية في الثلث الأخير من ق ٥٥ / ١١ م كان بداية لظهور المقرنصات في مصر وتطورها في حطات متتابعة حلت محل الحنية الركنية الواحدة الكبيرة (١٠٥).

(١٠٤) سليمان مصطفى ذيس : القبة التونسية (بحث منشور في كتاب دراسات في الآثار الإسلامية - القاهرة ١٩٧٩ م) - ص ٩٣ - ١١٠ .
حسن عبد الوهاب : الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة (بحث منشور في نفس الكتاب السابق) - ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(١٠٥) يؤكد ذلك ما ذكره معظم العلماء والباحثين من أن المقرنصات تطورت عن الحنايا الركنية المفردة وذلك بمضاعفة عدد حطاتها ومن ثم أطلق عليها اسم المقرنصات وهي في هذه الحالة تعتبر ذات هدف إنشائي معماري بحث ولاسيما في مناطق انتقال القباب وأضحت هذه المقرنصات عنصراً معمارياً مميزاً للعمارة الإسلامية في هذه الناحية .

دلى : العمارة العربية بمصر - ص ١١ - ١٢ .
أحمد فكري : المسجد الجامع بالقبروان - ص ١٠٠ ، مساجد القاهرة ومدارسها ج ١ ص ١٦٣ ، ج ٢ ص ٨٦ .

محمد عبد العزيز مرزوق : جامع الظاهر بيبرس (المجلة التاريخية المصرية - المجلد ٣ العدد ١ - مايو ١٩٥٠ م) ص ٩٣ .

سيف النصر أبو الفتوح : مداحل العمائر المملوكية - ص ١٠٣ .

Lane Pool: Art of the saracens in Egypt - p. 100.

وكان للمقرنصات إلى جانب هذا الهدف المعماري الإنشائي دور زخرفي بارز في

(ب) مناطق الانتقال في العصر الإيوني :

تطورت مناطق الانتقال في هذا العصر تطوراً ملحوظاً عن ذي قبل ويمكن أن نميز بين نوعين منها :

النوع الأول :

ويتكون من حطتين من المقرنصات ذات العقود المنكسرة تتكون كل حطة منها من ثلاث حنايا حيث أضاف المعمار حنيتين علويتين على جانبي الحنية التي تشكل قمة أو طاقة العقد الثلاثي ، ومن أمثلة هذا النوع منطقة انتقال قبة الخلفاء العباسيين (٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م) (لوحة ١٤) وقبة شجر الدر (٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) (لوحة ١٥) .

النوع الثاني :

ويتكون من ثلاث حطات من المقرنصات ذات العقود المنكسرة أيضاً ويتضح ذلك في منطقة انتقال قبة الإمام الشافعي (٦٠٨ هـ / ١٢١١ م) وتتكون من ثلاث حطات من المقرنصات الخشبية :

العمارة الإسلامية حيث استخدمت في زخرفة الواجهات والمداخل والمآذن وتيجان الأعمدة والأبراج الخاصة بالمداخل في شرق العالم الإسلامي .

زكي حسن : الفنون الإيرانية - ص ٥٣ .

سيف النصر أبو الفتوح : المرجع السابق - ص ١٠٢ - ١٠٣ .

مرفت عيسى : مدرسة خوند بركة (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة

١٩٧٧ م) ص ١٠١ .

Hassan Al-Basha: The Muqornas its Ezrly Use in Islamic Doorways and Towers. (Cairo, 1966). pp. 22 - 25.

Mostafa: Kloster und Mausleum des Farag Ibn Borquq in Kairo pp. 118 - 119.

تحتوى الحطة الأولى على خمس حنايا والثانية على سبع حنايا والثالثة على ثلاث حنايا^(١٠٦) (شكل ٦٢) .

ومن أمثلة ذلك أيضاً منطقة انتقال قبة الصالح نجم الدين أيوب (١٢٥٠ م / ٥٦٤٨ هـ) (لوحة ١٦ ، شكل ٦٣) وتتكون من ثلاث حطات أيضاً عبارة عن ثلاث حنايا في الحطتين الأولى والثانية تعلوهما أربع حنايا في الحطة الثالثة ، و، بما كان السبب في اختلاف عدد الحنايا في القبتين السابقتين هو كبر مساحة مربع القبة في الشافعي عنه في الصالح أيوب فبينما تبلغ مساحته في الشافعي ١٥ م نجده ١٠,٩٠ م في الصالح أيوب مما دفع المعمار إلى أن يزيد من ارتفاع منطقة الانتقال بعض الشيء وبالتالي يزيد من عدد الحنايا المكونة لها حتى يستطيع إقامة القبة الضخمة فوقها .

كما سبق يمكن أن نحصر ملامح التطور الذي حدث لمناطق الانتقال الأيوبية في النقاط التالية :

(أ) ازدياد عدد الحنايا عن مثلتها في العصر الفاطمي فأصبحت ثلاث حطات بدلاً من اثنتين .

(ب) تغيرت عقود الحنايا من العقد المدبب إلى العقد المنكسر .

(ج) اتصلت حنايا منطقة الانتقال بفتحات الشبايك بأواسط منطقة الانتقال بعد أن كان كل منهما مستقن عن الآخر داخل إطاره المحدد له .

(١٠٦) يذكر (البروفيسور كريزول) أن حطات منطقة انتقال قبة الإمام الشافعي لا يمكن إرجاعها إلى تاريخ قبل النصف الثاني من ق ١٥ / ٥٩ م .

Creswell: Op. Cit. Vol. 2. ج. 72.

ويذكر (د. أحمد فكرى) أن هذا الاتصال من جهة وازدياد عدد الحنايا من جهة أخرى كان له أثره في أن ارتفعت منطقة الانتقال وتداخلت في رقبة القبة كما أن هذه الرقبة لم تعد مستقلة عن منطقة الانتقال أو واضحة الانفصال عنها كما كان الحال من قبل كما لم تعد منطقة تحول المربع إلى الدائرة مقصورة على الأركان^(١٠٧) . والواقع أن هذا الاتصال قد ساعد على وضوح استدارة رقبة القبة التي كانت قبل ذلك إما مثمثة وإما مستديرة وإما غير موجودة أصلاً (لوحات) .

(ج) مناطق الانتقال في عصر المماليك البحرية :

تطورت مناطق الانتقال السابقة تطوراً كبيراً خلال هذا العصر ، كما ظهرت مناطق انتقال مميزة تنبئ عن بزوغ أسلوب جديد بدأ يفرض نفسه تدريجياً على الساحة المعمارية حتى اكتسب الجولة وأصبح له الذبوع والانتشار في عصر المماليك الجراكسة وبداية العصر العثماني .

ويمكن أن نحصر ملامح التطور هذه في عدة مراحل على النحو التالي :

(أ) المرحلة الأولى :

وتتكون منطقة الانتقال فيها من حطتين من المقرنصات تتكون كل واحدة منها من ثلاث حنايا ذات عقود منكسرة وتعد هذه المرحلة استمراراً لما وجد في مناطق انتقال كل من قبة الخلفاء العباسيين وشجر

(١٠٧) أحمد فكرى : مساحد القاهرة ومدارسها ج ٢ - ص ٨٦ ، خصائص عمارة القاهرة في العصر الأيوبي (أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة - مارس - أبريل ١٩٦٩ م - ج ١ - القاهرة ١٩٧٠ م - ص ١٦٧ .

الدر ، وتتضح هذه المرحلة في منطقة انتقال كل من : قبة ايدكين
البندقارى الأولى (٦٨٣ هـ / ١٢٨٣ م) (لوحة ١٧٠) والصوائى
حوالى (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) (لوحة ١٨) وأحمد بن سليمان
الرفاعى^(١٠٨) (لوحة ١٨ م) (٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) وقبة محراب
ابن طولون (٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م) (لوحة ١٩) والقبة الحجرية
الثالثة فى منشأة سلارسنجر (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) (لوحة ٢٠)
وقبة صفى^(١٠٩) الدين جوهر (٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) (لوحة ٢١) وقبة
أحمد المهندار (٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) (لوحة ٢٢) وقبة شيخو

(١٠٨) تبدو منطقة انتقال هذه القبة لأول وهلة وكأنها تتكون من ثلاث حطات من المقرنصات ولكن الواقع غير ذلك فهى تتكون من حطتين من المقرنصات بكل حطة منها ثلاث حنايا معقودة بعقد منكسر تحصر فيما بينها شبايك من ثلاث فتحات ويظهر ذلك جلياً عند مشاهدتنا لها من الخارج أما الذى حدث فى الداخل فهو أن الرقبة التى فتح بها ثمانية حنايا معقودة بعقد منكسر قد اندمجت مع منطقة الانتقال بحيث تبدو للرائى وكأنها تشكل حطة ثالثة من حطات منطقة الانتقال ومن المعروف أن نهاية منطقة الانتقال تتساوى مع نهاية صف النوافذ أو القمريات الموجودة بأواسط منطقة الانتقال ، وقد تنبه (كريزول) إلى ذلك فذكر أن هذه المنطقة تتكون من ثلاث صفوف من الحنايا إلا أنها تبدو من الخارج وقد تكونت من صفين فقط .

Creswell: Op. Cit. p. 220, pl. 118a.

(١٠٩) يذكر (كريزول) أنها تتكون من ثلاث صفوف من المقرنصات فيما بينها نوافذ مصمتة ثلاثية الفتحات .

Creswell: Op. Cit. p. 267.

والواقع أن هذه النوافذ الثلاثية محصورة فقط بين حطتين من المقرنصات بكل واحدة ثلاث حنايا معقودة بعقد منكسر (لوحة ٢١) أما الحطة الثالثة التى ظن (كريزول) أنها صفاً ثالثاً من صفوف منطقة الانتقال ما هى إلا مجموعة من الحنايا المعقودة بعقد منكسر أيضاً والخاصة برقبة القبة التى اندمجت مع منطقة الانتقال أسفلها بحيث بدت وكأنها تشكل هذا الصف الثالث .

(٥٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) (١١٠) وقبة خوند طولية (٥٧٦٥ هـ /
١٣٦٣ م) (١١١) (شكل ٦٩) .

(ب) المرحلة الثانية :

وتتكون منطقة الانتقال فيها من ثلاث حطات من المقرنصات معقودة بعقد منكسر تتكون الحطة الأولى والثانية من ثلاث حنايا أما الثالثة فتتكون من أربع حنايا ، وتعد هذه المرحلة استمراراً لما وجد في منطقة انتقال قبة الصالح نجم الدين أيوب (٥٦٤٨ هـ / ١٢٥٠ م) وتتضح هذه المرحلة في منطقة انتقال قبة كل من زين الدين يوسف (٥٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) (لوحة ٢٦) وسلار (٥٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) (لوحة ٢٧) والقمارى (حوالى ٥٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ - ١٣٣٠ م) وأبو اليوسفين (حوالى ٥٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ - ١٣٣٠ م) وطشتمر حمص أخضر (٥٧٣٥ هـ / ١٣٣٤ م) (لوحة ٢٨) وخوند طغاي (لوحة ٢٩ ، شكل ٦٧) وأولاد الأسياد منتصف ق ٥٨ / ١٤ م .

(١١٠) سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٣ - ص ٢٥٣ -
لوحة ٢١١) .

سعاد حسين : أعمال الأمير شيخو العمرى الناصرى المعمارية بالقاهرة (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة - ١٩٧٥ م) - ص ١٤٣ .

(١١١) سعاد ماهر : المرجع السابق - ج ٣ - لوحة رقم ٢٠٦ .

ويذكر د. عبد الرحمن فهمى « أن منطقة الانتقال هذه تتكون من ثلاث حطات من المقرنصات اتخذت العليا منها شباكاً » .

عبد الرحمن فهمى : بين قباب الخوندات المملوكية (٢ - قبة خوند طولية) -
منبر الإسلام - العدد ٨ - السنة ٣١ - ١٩٧٣ م - ص ٢٠٩ .

والواقع أن منطقة الانتقال هذه تتكون من حطتين لا من ثلاث حطات بكل واحدة ثلاث حنايا معقودة بعقد منكسر ، إلا أنه يلاحظ هنا أيضاً أن الرقبة قد اندمجت مع

(ج) المرحلة الثالثة :

وتتكون منطقة الانتقال فيها من ثلاث حطات من المقرنصات المعقودة بعقد منكسر تتكون كل حطة منها من خمس حنايا ، وتتضح هذه المرحلة في منطقة انتقال قبة كل من القبة الثانية في ايدكين البندقدارى (٦٨٣ هـ / ١٢٨٣ م) (لوحة ٣٠) والأشرف خليل (٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م) (لوحة ٣١) وحسام الدين طرنطاي (٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م) (لوحة ٣٢) وقبة ميضأة مسجد ابن طولون (٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م) (لوحة ٣٣) وقبة الناصر محمد بالنحاسين (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) (لوحة ٣٤) وقبة قراسنقرق ٥٧ / ١٣ م (لوحة ٣٥) وقبة على بدر القرافى (٧٠٠ - ٧١٠ هـ / ١٣٠٠ - ١٣١٠ م) (لوحة ٣٦) وقبة سنجر الجاولى (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) (لوحة ٣٧) وقبة سنقر السعدى (حسن صدقه) (٧١٥ هـ / ١٣١٥ م) (لوحة ٣٨) .

ونلاحظ أن حنايا هذه المرحلة قد صغرت عن مثيلتها من قبل وبعضها مجوف غائر وبعضها الآخر مسطح تبرز عقودها العليا ليحمل كل صف منها الذى يعلوه بحيث تبدأ الصفوف من المسقط المربع وتحوله إلى مثنى أو مضلع كثير الاضلاع تأتي فوقه بداية دائرة القبة .

وعند تحليلنا لمناطق انتقال هذه المرحلة يتبين لنا أنها في جوهرها تتكون من عقدين ثلاثين مركبين فوق بعضهما ويشكلان في النهاية هيئة مثلث قمته لأعلى وقاعدته لأسفل شغل داخله بالحنايا المقرنصة

منطقة الانتقال بحيث تبدو وكأنها جزء منها . وقد فتح بها ثمانية حنايا بداخلها ثمانية نوافذ معقودة بعقد منكسر بواقع حنية بداخلها نافذة بأعلى منطقة الانتقال والنوافذ الثلاثية بأوسطها وقد تكرر هذا الوضع بعد ذلك في قبة يونس الدوادار (أنس) بالصحراء (لوحة) .

التي تكون هيئة العقدین ونلاحظ أيضاً أن قمة العقد العلوی قد شغلت من جانبها بأربعة حنايا بواقع حنيتين في كل جانب ، أما القوسان الجانبيان فيحيط بهما حنية في كل جانب منهما وهذا يدل على أن التطور الذي حدث في هذه المرحلة يتمثل في تكرار هيئة العقد الثلاثي مرتين مع شغل الفراغ بينه وبين شبايك أواسط منطقة الانتقال بعدد من الحنايا التي تبدو أحياناً في بعض الأمثلة مسطحة (أى غير مجوفة كثيراً) إذا ما قورنت بمثلتها الموجودة داخل العقدین الثلاثين .

المرحلة الرابعة :

وتتكون منطقة الانتقال فيها من أربع محطات^(١١٢) من المقرنصات ذات العقود المنكسرة تتكون كل من الحطة الأولى والثانية والثالثة من خمس حنايا أما الرابعة فتتكون من ست حنايا ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة بيبرس الجاشنكير (٧٠٦ - ٥٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ - ١٣٠٩ م) (لوحة ٤٠) وهذه المرحلة تشبه المرحلة السابقة إلا أنها تتميز عنها بإضافة حطة رابعة .

المرحلة الخامسة :

وتتكون منطقة الانتقال فيها من خمس محطات من المقرنصات ذات العقود المنكسرة ويتضح ذلك في منطقة انتقال قبة صرغتمش

- (١١٢) كمال سامح : العمارة الإسلامية في مصر - ص ٨٤ - ٨٥ .
- صالح لمعي : التراث المعماري الإسلامي في مصر - ص ١٠٢ .
- محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٤٩٦ .
- سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٣ - ص ١٧٢ .
- ميرفت عيسى : مدرسة خوند بركة - ص ١٠٢ .

Davis: Op. Cit. p. 28.

Creswell: Op. Cit. p. 251.

(٥٧٥٧ / ١٣٥٦ م) وتتميز هذه المرحلة عن المرحلة السابقة بزيادة الحطة الخامسة التي تعد ذروة ما بلغته مناطق الانتقال في عصر المماليك البحرية^(١١٣) .

كما سبق يمكن القول أن مناطق الانتقال في عصر المماليك البحرية لم تختلف من حيث التكوين المعماري عن مثيلاتها في العصر الأيوبي إلا أنها تميزت عنها بزيادة عدد الحطات إلى خمسة بدلاً من اثنتين أو ثلاثة في العصر الأيوبي وقد حدث ذلك نتيجة تكرار هيئة العقد الثلاثي مرتين فوق بعضهما مع شغل الفراغ ما بين طاقية العقد والريشتين وبين شبايك أواسط منطقة الانتقال بعدد آخر من الحنايا الجانبية التي تبدو أحياناً مسطحة وأحياناً أخرى مجوفة .

ويمكن تقسيم أنواع مناطق الانتقال الأخرى التي ظهرت في عصر المماليك البحرية إلى ثلاثة أنواع :

١ - النوع الأول : وقد عاد فيه استخدام الحنايا الركنية البسيطة من جديد كمناطق انتقال لبعض القباب التي أقيمت في هذه الفترة ومن أمثلتها منطقة انتقال قبة محراب مسجد آق سنقر (٥٧٤٧ / ١٣٤٦ م) وقبة مدفن كجك الملحقة بنفس المسجد والقبة الشرقية الملحقة بترية خوند طغاي أم أنوك (شكل ٦٧) وقبة تنكزيغا بقرافة السيوطي (لوحة ٤١) وقبته الأخرى بمنشية ناصر وقبتي المدفين الملحقين بمدرسة

(١١٣) كمال سامح : المرجع السابق - ص ٨٥ .

محمد مصطفى نجيب : المرجع السابق - ص ٤٩٦ .

سعاد ماهر : المرجع السابق - ص ٢٧٢ .

محمد عبد الستار : نظرية الوظيفة - ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

أم السلطان شعبان (خوند بركة) (١١٤) .

٢ - النوع الثاني : ويتكون من أربع حطات من المقرنصات تشكل في مجموعها هيئة مثلث قمته لأعلى وقاعدته لأسفل شغل داخله بعدد من الحنايا تبدأ في منطقة انتقال قبة سنجر المظفر ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م بحنية واحدة فحيتين ثم ثلاثة فخمسة حنيات ونلاحظ أن الحطة الرابعة ذات الخمس حنايا تلتحم مع الحنايا التي تعلو أواسط منطقة الانتقال ، أما في قبة بحرى تنكربغا (ق ٥٨ / ١٤م) (لوحة ٤٢) فتبدأ من أسفل بسبع حنايا تليها ستة ثم ثلاثة فواحدة والجميع داخل إطار على هيئة عقد نصف دائرى . ونلاحظ أن منطقة انتقال هاتين القبتين من الأمثلة الفريدة في العمارة الإسلامية بصفة عامة والعمارة المملوكية بصفة خاصة حيث لم يتكرر ظهورهما (فيما أعلم) في أى من مناطق الانتقال الأخرى ، كذلك فإن منطقة انتقال قبة ايدمر البهلوان^(١١٥) (قبل ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م) (بشارع أم الغلام بحى سيدنا الحسين) تعد من الأمثلة الفريدة أيضاً لمناطق الانتقال وربما تعتبر تطوراً للحنايا المقرنصة ذات الدلايات التي تحمل طواقى المداخل في عصر المماليك البحرية كما هو الحال في طاقية مدخل كل من منشأة سنقر السعدى (: ٧١٥هـ / ١٣١٥م) وأحمد المهمندار (٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) وظهرت أيضاً في

(١١٤) حسن عبد الوهاب : تزيح المساجد الأثرية - ج ١ - ص ١٥٣ ،

١٥٥ ، ١٨٦ .

محمد مصطفى نجيب : مدرسة خوند بركة (بحث في كتاب القاهرة) -

ص ١٩٨ .

ميرفت عيسى : مدرسة خوند بركة - ص ١٠٢ .

Hauteceour et Wiet: Op. Cit. Vol. 2. pl. 141.

Al-Gayet: L'Art Arabe. p. 145. Fig.53.

(١١٥)

طاقية مدخل خانقاه ومسجد شيخو (٥٧٥٠ / ١٣٤٩ م) ومدرسة
صرغتمش (٥٧٥٧ / ١٣٥٦ م) وتضيف منطقة انتقال قبة يونس
الوادار (بباب الوزير) (قبل ٥٧٨٣ / ١٣٨٢ م) (لوحتا ٤٧ ،
٤٧ م) وهى التى تتكون من أربع حطات من المقرنصات -
تعتمد على ذيل هابط مع وجود عدد من الحطات المقرنصة حل محل
القمريات التى كانت تشغل أواسط منطقة الانتقال) شكلاً جديداً لم
يتكرر فى مناطق انتقال القباب المملوكية ، وربما كان لتصميم هذه القبة
على غرار القباب السمرقندية أثره فى وجود هذا الشكل الفريد لمنطقة
الانتقال .

٣ - النوع الثالث : وهو عبارة عن أربعة مثلثات فى الأركان قمتها
لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث فى كل ركن من الأركان
وقد شغل داخلها بمجموعة من حطات المقرنصات المتصاعدة
لأعلى حتى تلتحم مع بداية رقبة القبة .

وعلى الرغم من وضوح اختلاف التكوين المعمارى بين مناطق
انتقال النظام القديم (واقصد النظام الذى بلغت حطاته خمس فى قبة
صرغتمش) وبين هذا النظام الجديد المتطور لمناطق الانتقال إلا أن
غالبية العلماء والباحثين لم يلحظوا هذا الاختلاف ، ولم يقف الأمر
عند هذا الحد وإنما تناولوا دراسة مناطق انتقال هذا النظام المتطور على
أنها مجرد زيادة فى عدد حطات المقرنص فى النظام القديم (١١٦) .

-
- (١١٦) كمال سابع : تطور القبة فى العمارة الإسلامية - ص ٢٢ ، العمارة
الإسلامية فى مصر - ص ٨٥ .
صلاح لمعى : التراث المعمارى الإسلامى - ص ١٠٢
حسنى نويصر : منشآت السلطان قايتباى الدينية بمدينة القاهرة ص ٧٠
محمد عبد الستار : نظرية الوظيفة - ص ٤٠٠ ٤٠١

ويذكر (د. مصطفى نجيب) أن المعمار بدأ يمهّد لهذا النوع منذ أواخر ق ٥٧ / ١٣ م . وذلك بمنطقة انتقال قبة فاطمة خاتون (أم الصالح) (٦٨٢ - ٦٨٣ هـ / ١٢٨٣ - ١٢٨٤ م) (لوحة ٤٣ / شكل ٦٤) ثم اكتملت هيئة حطات هذا النظام بمنطقة انتقال سنجر المظفر^(١١٧) (٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م) إلا أنه لم يستعمل على نطاق واسع إلا في بداية النصف الثاني من ق ٥٨ / ١٤ م واستمر حتى أواخر ق ١٠ هـ / ١٦ م وما بعده^(١١٨) .

والواقع أن منطقة انتقال^(١١٩) قبة فاطمة خاتون (لوحة ٤٣) (والتي تتكون من عقد مدبب يحوى بداخله عقداً منكسراً أصغر منه أسفله ثلاث حطات تبدأ بجنبة فائنتين فواحدة وتعتمد الحطات من أسفل على ذيل هابط) يختلف تكوينها إلى حد كبير عن تكوين مناطق انتقال هذا النظام المتطور كما أنها تتفق مع المقرنصات السورية كما هو الحال في مقرنصات قبة قاعة مطبخ العجمي (ق ٥٧ / ١٣ م)^(١٢٠) .

ويمكن القول أن منطقة الانتقال على هيئة مثلث قمته لأسفل وقاعدته لأعلى قد ظهرت أولاً في بلاد الشام منذ العصر الأيوبي واستمرت في العصر المملوكي وقد عرفت هناك باسم « السراويل

(١١٧) سبق أن تناولنا وصف منطقة انتقال هذه القبة التي يختلف تكوينها تماماً عن تكوين مناطق انتقال النظام المتطور . انظر ص ٩٠٤ من هذا الكتاب .
(١١٨) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٤٩٦ .
(١١٩) تذكر (ديفونشير) أن مطقة انتقال هذه القبة ذات سمة غير معتادة أو غير مألوفة .

Devonshire: Eighty Mosques and other Islamic Monuments in Cairo.
p. 29.

(١٢٠) حسن عبد الوهاب : التأثيرات المعمارية بين سوريا ومصر - ص ٩٣ .

الحلبيية ه لأنها ظهرت أولاً بجلب ثم انتقلت إلى دمشق وحماه ومن أمثلتها قبة تربة مدرسة شاد بخت (٥٥٨٩ / ١١٩٣ م) وقباب كل من المدرسة الظاهرية والقليجية والتربة القيمرية وجامع الحسين في حماه ومبنى الفردوس بجلب (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) (١٢١) . وعندما ظهرت المداخل المقرنصة (١٢٢) في العمارة المملوكية في أواخر ق ٥٧ / وبداية ٥٨ استخدمت هذه المثلثات كمناطق انتقال تحمل نصف القبة المتوجة لحجر المدخل ومن أمثلتها طاقة مدخل خانقاه بيبرس الجاشنكير (١٢٣) (٧٠٦ - ٧٠٩ هـ / ١٣٠٦ - ١٣٠٩ م) وهى عبارة عن نصف قبة تحملها منطقة انتقال عبارة عن مثلث قمته لأسفل وقاعدته لأعلى يحتوى على أربعة حنايا مقرنصة تعتمد على ذيل هابط .

(١٢١) عادل نجم عبو : التربة في العمارة الأيوبية في سوريا - ص ٢٧٩ - ٢٨٠ . الرباط في العمارة الأيوبية في سوريا (مجلة كلية الآثار - ج ٢ - القاهرة ١٩٧٨ م) - ص ٤٢ .

(١٢٢) يذكر كريزول أن هذا النوع من المداخل ظهر في بلاد الشام أولاً قبل ظهوره في مصر بنحو قرن من الزمان وأقدم مثال لها في مدرسة شاد بخت بجلب ٥٥٨٩ / ١١٩٣ م وتوالى ظهورها بعد ذلك ، أما في مصر فأول مثال لها في مدخل زاوية زين الدين يوسف ٥٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م .

Creswell: Op. Cit. pp. 146 - 147, 230 - 231.

أما الباحث (سيف النصر أبو الفتوح) فيذكر أن أقدم مثال هو مدخل قصر البن أقي الحسامي ٥٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م .

سيف النصر أبو الفتوح : مداخل العمائر المملوكية - ص ١٠٧ - ١٠٨ .
(١٢٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية - ج ٢ - لوحة رقم ٧٠ .
ومن الأمثلة الأخرى للمداخل ذات الطواق المقامة على حطات من المقرنصات يوجد أسفلها مثلث بداخله حنايا مقرنصة طاقة مدخل كل من زين الدين يوسف وسنقر السعدى وأحمد المهنتار .

Creswell: Op. Cit. p. 83a, 102c, 104b.

كما سبق يمكن القول بأن منطقة الانتقال على هيئة مثلثات قد ظهرت في مصر في أواخر ق ٥٧ وبداية ق ٥٨ على عكس ما يعتقد بعض الآثريين من أنها لم تظهر قبل منتصف ق ٥٨ / ١٤ م (١٢٤). ومن أمثلة مناطق انتقال القباب في هذه الفترة منطقة انتقال القبة المعروفة بقبة المنوفى (١٢٥) (بقرافة السيوطي) (لوحة ٤٤ ، شكل ٦٥) وتتكون من ثلاث حطات من المقرنصات تعتمد على ذيل هابط تشكل في مجموعها هيئة مثلث قمته لأسفل وقاعدته لأعلى وتحتوى الحطة الأولى على حنية واحدة والحطة الثانية على حنيتين والحطة الثالثة على ثلاث حنايا وتشبه منطقة الانتقال هذه منطقة انتقال نصف القبة المتوجه لحجر مدخل بيبرس الجاشنكير .

وظهر هذا النوع أيضاً في مناطق انتقال القباب الخشبية التي تعلو محراب كل من مسجد الناصر محمد بالقلعة (٥٧٣٥ / ١٣٣٥ م) ومسجد الطنبغا المارداني (٥٧٤٠ / ١٣٤٠ م) وقبة المدفن الملحق بالمدرسة الاقبغوية في الأزهر (٥٧٤٠ / ١٣٤٠ م) وقبة إيوان

وأيضاً طاقية مدخل صرغتمش .

Houtcoeur et Wiet: Op. Cit. Vol. 2. Pl. 123.

وأيضاً طاقية المدخل الشمالى الغربى لمسجد الناصر محمد بالقلعة (٥٧٣٥ / ١٣٣٥ م) .

Laila Ali Ibrahim: The transitional Zones of Domes in Cairene Architecture. p. 9.

(١٢٥) اعتماداً على المقارنات المعمارية بين هذه القبة وبين منشآت أواخر ق ٥٧ وأوائل ق ٥٨ يرجح المرحوم (حسن عبد الوهاب) أن هذه القبة منشأة في الفترة ما بين ٦٩٠ - ٥٧١٠ / ١٢٩٠ - ١٣١٠ م .

حسن عبد الوهاب : العمارة الإسلامية دولة المماليك البحرية (مجلة العمارة - المجلد الرابع - العدد ١ ، ٢ - ١٩٤٢ م) - ص ٦١ - ٦٢ .
مميزات العمارة الإسلامية في القاهرة - ص ١٨٢ - ١٨٣ .

مدرسة صرغتمش (٥٧٥٧ / ١٣٥٦ م) وقبة مدفن السلطان حسن^(١٢٦) (٥٧٦٤ / ١٣٦٢ م) وتتكون منطقة الانتقال في الأمثلة السابقة من أربعة مثلثات بواقع مثلث في كل ركن من أركان مربع القبة العلوى شغل داخلها بالحطات المقرنصة يبلغ عددها خمس حطات في كل من الناصر محمد والمراداني^(١٢٧) والاقبغاوية وست حطات في صرغتمش وسبع حطات في قبة مدفن السلطان حسين.

ومن أمثلة ذلك أيضاً القبة التي تعلو دركاة مدخل مدرسة السلطان حسن^(١٢٨) ومنطقة انتقال هذه القبة عبارة عن أربعة مثلثات قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث في كل ركن شغل داخله بستة حطات من الحنايا المزخرفة باشعاعات وتنتهي هذه الحطات الست عند نهاية العقود الأربعة التي تتوج الدخلات التي تحيط بالدركاة وتعلو هذه الحطات الستة ثلاث حطات أخرى من المقرنصات ذات الدلايات التي تمتد لتشغل أيضاً أواسط منطقة الانتقال ملتحمة مع رقة القبة التي تعلوها ، ومن ثم يمكن القول بأن المعمار قد جمع في منطقة انتقال قبة دركاة مدخل السلطان حسن بين المثلثات ذات الحنايا تعلوها الحنايا المقرنصة ذات الدلايات وهو نفس التكوين الذي شاع استخدامه أيضاً في المداخل ذات الطواقي المقرنصة ومن أبرز أمثلتها

Houtecoeur et Wiet: Op. Cit. Vol. 2. pl. 133. (١٢٦)

(١٢٧) نلاحظ أن الحطات الثلاث الأولى في كل من منطقة انتقال الناصر محمد والمراداني تنتهي عند نهاية القمريات التي تشغل أواسط منطقة الانتقال أما الحطتان الرابعة والخامسة فتمتدان أعلى القمريات التي تشغل أواسط منطقة الانتقال .

Laila Ali Ibrahim: Op. Cit. p. 12. Fig. 13. (١٢٨)

وانظر أيضاً صورة هذه المنطقة في :

فريد شافعي : العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ص ١١٣ شكل ١٢٩ .

المعاصرة تقريباً للمدرسة السلطان حسن طاقية مدخل مدرسة صرغتمش
(٥٧٥٧ / ١٣٥٦ م) .

ويمكن القول بأن أسلوب الجمع بين هذين النوعين لم يحدث في
مناطق انتقال القباب التي تعلو المدافن وإن كان يوجد بين هذه الحنايا
أحياناً دلائل ، ومن أمثلة مناطق انتقال القباب التي تعلو المدافن في
عصر المماليك البحرية منطقة انتقال كل من القبتين اللتين على جانبي
إيوان التربة^(١٢٩) السلطانية بقرافة السيوطي (أواخر ٥٨ / ١٤ م)
وهي عبارة عن أربعة مثلثات قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث
في كل ركن من الأركان شغل داخله بعدد من الحطات المقرنصة ذات

(١٢٩) يذكر (كرزول) أن وجود القبتين على جانبي الإيوان يعد مثلاً فريداً
لا يوجد له شبه آخر في مصر .

Creswell: Abrief Chronology. p. 128.

والواقع أن هذا القول مبالغ فيه إلى حد كبير لأنه ظهرت في مصر أمثلة أخرى منها
القبّة المعروفة بقبة المنوف التي لاتزال باقية في قرافة السيوطي على يمين الإيوان وكانت
تقابلها قبة أخرى على يسار الإيوان قام بنشرها المرحوم حسن عبد الوهاب إلا أنها
هدمت .

حسن عبد الوهاب : العمارة الإسلامية دولة المماليك البحرية (مجلة العمارة) -
ص ٦٢ .

ومن أمثلتها أيضاً قبة خوند طغاي أم أنوك والتي لم يتبق منها إلا البنية في حالتها
الجيدة أما اليسرى فقد فقدت قمتها ولا تزال منطقة انتقالها باقية حتى اليوم . انظر
(شكل ٢٢) .

أما عن تاريخ التربة السلطانية فقد أرحها كرزول بالربع الثاني من ق ٥٩ / ١٥ م
وأرجعها إلى أم السلطان حسن اعتماداً على ما جاء في وثيقة مسجد مسيح باشا ٥٩٨٦ /
١٥٧٨ م التي جاء فيها أن المسجد يقع في مواجهة ضريح أم السلطان حسن .

Creswell: Op. Cit. pp. 128 - 129.

أما المرحوم محمد رمزي فقد أرجعها إلى النصف الثاني من ق ٥٨ / ١٤ م . انظر

محمد حمزة قرافة القاهرة ص ٢٧٢ حاشية ٢

الدلايات يبلغ أربعة في القبة اليمنى (لوحة ٤٥) وخمسة في القبة اليسرى (لوحة ٤٦) التي تمتد فيها الحطة الخامسة لتشغل أواسط منطقة الانتقال .

وقد ظهر هذا النوع أيضاً في منطقة انتقال قبة مدفن أولجاي اليوسفي (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) وتتكون من أربعة مثلثات قمتها لأسفل وواعدتها لأعلى بواقع مثلث في كل ركن من الأركان شغل داخله بخمسة حطات من الحنايا المقرنصة .

مما سبق يمكن القول بأن هذا النوع المتطور لمناطق الانتقال على الرغم من ظهوره في عصر المماليك البحرية إلا أن أمثله قليلة ولم يحقق له الذبوع والانتشار إلا في عصر المماليك الجراكسة .

(د) مناطق الانتقال في عصر المماليك الجراكسة :

شاع استخدام مناطق الانتقال المتطورة في غالبية القباب الجركسية وإن كان هذا لم يمنع وجود أنواع أخرى لمناطق الانتقال خلال هذا العصر سنشير إليها فيما بعد .

أما بالنسبة لمناطق الانتقال المتطورة فيذكر (د. مصطفى نجيب) أن عدد حطات هذا النظام المتكرر بدأ من حيث انتهى النظام القديم أي بخمسة حطات ثم تزايد حتى بلغ الضعف أي عشرة حطات وهو آخر ما وصلت إليه حطات مناطق الانتقال في قباب العصر الجركسي بفضل هذا النظام (١٣٠) .

والواقع أن عدد حطات هذا النظام لم تبدأ بخمسة كما يرى

(١٣٠) محمد مصطفى نجيب - مدرسة الأمر كبير فرقماس ص ٤٩٧

د. نجيب لأنه توجد نماذج لمناطق انتقال يبلغ عدد محطاتها ثلاثة وأخرى يبلغ عدد محطاتها أربعة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن آخر ما وصل إليه عدد محطات هذا النظام تجاوز العشرة محطات وبلغ ثلاثة عشرة محطة في منطقة انتقال قبة الغورى بالغورية (٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م) (١٣١) .

هذا ويلاحظ أن مناطق الانتقال المتطورة تختلف عن مثيلتها في النظام القديم من حيث :

(أ) تغير شكل عقود الحنايا من العقد المنكسر إلى العقد المدبب .

(ب) أن مثلثات منطقة الانتقال لا تقام مباشرة فوق مربع القبة وإنما يفصلها عنه كابولي حجري بارز ومن ثم ظهرت منطقة الانتقال وكأنها كيان معمارى مستقل بذاته أما في النظام القديم فكانت منطقة الانتقال تقام مباشرة بأعلى أركان مربع القبة ملتصقة به يجرى أسفلها شريط كتانى أو زخرفى فى بعض الأحيان ، إلا أنه حدث أن اندمجت بعض مناطق انتقال هذا النظام المتطور مع مربع القبة أسفلها ، ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة برقوق بالنحاسين وقبة الشيخ عبد الله المنوفى بالصحراء (لوحة ٥٧) وقبة تراز الأحمدي بالسيدة زينب .

ويمكن تقسيم مناطق انتقال القباب الجركسية التى اتبعت هذا النظام المتطور إلى المجموعات التالية :

(١٣١) محمد مصطفى نجيب : نفس المرجع (الكتالوج) - شكل ٢٠٩

محمد فهمي : مدرسة السلطان قانصوه الغورى - ص ١٠٠ .

المجموعة الأولى :

وهي عبارة عن أربع مثلثات قممتها لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث في كل ركن من الأركان شغل داخلها بثلاث حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة الشيخ عبد الله المنوفى بالصحراء (٥٧ / ١٤٧٤ م) (لوحة ٥٧) .

المجموعة الثانية :

ويشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التي بالأركان أربع حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من فيروز الساقى (٥٨٣٠ / ١٤٢٦ م) وجانى بك بالصحراء (لوحة ٥٠ ، شكل ٧٢) وقراقجا الجسنى (السادات الشناهره) (لوحة ٥٢) والقبة المعروفة خطأ بقرقماس (لوحة ٥٥) وقبة برسباى البجاسى (لوحة ٥٣ ، شكل ٨٢) وقبة أولاد قايتباى المعروفة بقبة الكلشنى (لوحة ٥٦) .

المجموعة الثالثة :

ويشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التي بالأركان خمس حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من برقوق بالنحاسين ومحمود الاستادار (محمود الكردى) بالخيامية والأشرف برسباى بالصاغة وجانى بك بالمغربلين ويشبك أخو برسباى بالصحراء (لوحة ٥٠ م) والسبع بنات بالصحراء (لوحة ٥٤ ، شكل ٨٠) وتمراز الأحمدي بالسيدة زينب وقجماس الاسحاق بالدرج الأحمر وعصفور بالصحراء (لوحة ٥٩ ، شكل ٩٠) وجانم البهلوان بالسروجية .

المجموعة الرابعة :

ويشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التي بالأركان ستة حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من اينال اليوسفى بالخيامية ونصر الله (لوحة ٥١ ، شكل ٧٨) وسودون القصرى وأزرمك (لوحة ٦٠ ، شكل ٨٩) .

المجموعة الخامسة :

ويشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التي بالأركان سبع حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من قانيباى المحمدى بالصليبية (وهى منطقة انتقال خشبية) ومنطقة انتقال قبة حمام المؤيد شيخ (لوحة ٤٩) ومنطقة انتقال قبة كل من السلطان اينال بالصحراء والعاذل طومانبى بالعباسية (شكل ٨٧) وخايربك بيباب الوزير .

المجموعة السادسة :

ويشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التي بالأركان ثمانى حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبتى خانقاه الناصر فرج بالصحراء (لوحة ٤٨) وقبة برسباى بالصحراء وقانصوه أبو سعيد بالصحراء (شكل ٨٦) والزمر (لوحة ٦١ ، شكل ٨٤) ويبرس الخياط بالجودرية .

المجموعة السابعة :

يشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التي بالأركان تسع حطات من الحنايا المقرنصة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة كل من المؤيد شيخ وقايتباى بالصحراء وطراباى الشريفى بيباب الوزير وسودون أمير مجلس (لوحة ٥٨) وأمير كبير قرقماس .

المجموعه الثامنة :

يشغل كل مثلث من المثلثات الأربعة التي بالأزكان ثلاثة عشرة حطة ومن أمثلة ذلك منطقة انتقال قبة الغورى .

ويتضح من التوزيع السابق أن عدد حطات المقرنصات فى كل مثلث من حيث الزيادة أو القلة لا يرتبط بفترة زمنية معينة أو بمعنى آخر لم تسلك مناطق الانتقال المتطورة النظام المألوف من حيث ظهور الأمثلة الأقل عدداً أولاً تليها الأمثلة الأكثر عدداً وهكذا ، فهذه القاعدة لم تكن متبعة فى غالب الأحيان كما أنه ظهرت أيضاً مناطق انتقال فى فترة واحدة وأحياناً فى منشأة واحدة ومع ذلك اختلف عدد حطات المثلثات فى كل منهما عن الآخر .

أما عن النسب المعمارية الخاصة بمنطقة الانتقال فيذكر (دلى) أنه يقل سمك جدرانها عن سمك جدران المربع السفلى بنحو ٢٥ سم إلى ٤٠ سم ولكن نظراً لبروز وجهها الداخلى يزيد ركوبها على الخارج بضعة سنتيمترات أما نسبتها الداخلية فهي أكبر قليلاً وتختلف نسبة الارتفاع إلى العرض من $\frac{1}{10}$ إلى $\frac{6}{10}$ أو أكثر قليلاً وإذا قلت النسبة عن $\frac{1}{10}$ فإن عروض طبقات الدلايات المقرنصة تصير غير متناسبة (١٣٢) ، أما (د. على غالب) فقد أشار إلى النتائج التالية :

(أ) يساوى ارتفاع منطقة الانتقال نصف ارتفاع الجزء السفلى (مثل جاني بك ونصر الله) أو يساوى ٠,٦١٨ من طول الضلع الداخلى (مثل السبع بنات - ارزملك) .

(ب) ارتفاع منطقة الانتقال من الداخل بالنسبة لطول المربع الداخلى

(١٣٢) دلى · العمارة العربية بمصر - ص ٩ - ١٠ .

يساوى ١ : ١,٦١٨ (مثل جاني بك ، نصر الله ، السبع
بنات و يرسباى البجاسى) أو يساوى ١ : (٠,٦١٨ × ٢)
(مثل ارزمك) أو يساوى ١ : ٢ مثل اذدمر أو يساوى
١/٢ : ١ مثل عصفور .

(ج) أن سمك حوائط منطقة الانتقال يساوى ٣/٤ سمك حوائط الجزء
السفلى (مثل جاني بك) أو يساوى ثلثى سمك حوائط الجزء
السفلى (مثل نصر الله ، يرسباى البجاسى ، عصفور واذدمر)
أو يساوى نصف سمك حائط الجزء السفلى (مثل السبع بنات
وازرمك) (١٣٣) .

الأنواع الأخرى لمناطق الانتقال الجركسية :

يمكن أن نميز بين نوعين آخرين شاع استخدامهما في بعض القباب
الجركسية وهما :

النوع الأول :

ويعتبر استمراراً لمناطق انتقال النظم القديم غير المتطور ويمكن
تقسيمه على النحو التالى :

(أ) مناطق انتقال تتكون من حطتين من المقرنصات المعقودة بعقد
منكسر تحتوى كل حطة منهما على ثلاث حنايا ومن أمثلة ذلك
منطقة انتقال قبة كل من يونس الداودار (أنس) بالصحراء
(لوحة ٢٣ ، شكل ٧٠) وقبة محراب خانقاه الناصر فرج
وابن غراب بالصحراء وتغرى بردى بالصليبية وخديجة أم

(١٣٣) على غالب : قباب القاهرة في عصر المماليك الجراكسة - ص ١٤ - ١٥ .

الأشرف بالصحراء (لوحة ٢٥ ، شكل ٧٦) وايتمش
البجاسى بباب الوزير .

(ب) مناطق انتقال تتكون من ثلاث محطات معقودة بعقد منكسر
تحتوى كل محطة منها على خمس حنايا ومن أمثلة ذلك منطقة
انتقال قبة قانصوه أبو سعيد بالمحجر (لوحة ٣٩) .

النوع الثانى :

وتتكون منطقة الانتقال فيه من أربع حنايا ركنية كبيرة معقودة
بعقد مدبب بواقع حنية فى كل ركن من الأركان تحوى بداخلها عقد
ثلاثى الفصوص وقد أوجد المعمار أيضاً على جانبي كل حنية من الحنايا
أى فى كوشتها مثلين قمتها لأسفل وقاعدتها لأعلى (إلا أنهما
خاليين من المقرنصات) ليشاركاً منطقة الانتقال فى إكمال استدارة
القبة .

ويبدو أن اتساع مربع القبة هو الذى دفع المعمار إلى اختيار هذا
النوع من مناطق الانتقال حتى تستطيع أن تحمل فوقها القبة الضخمة
ومن ثم جعل منطقة الانتقال تبدأ من ثلثى جدران المربع المقامة عليه
القبة كما جعل قمتها تنتهى مع انتهاء المربع ولذلك لا نجد لهذه المنطقة
مظهراً خارجياً .

وقد اختار المعمار العقد الثلاثى الفصوص (المدائنى) وذلك
لتوزيع الضغط الطارد الناتج عن جسم القبة على جدران المربع المقامة
عليه لأن العقد المدائنى فى ذلك الوضع له ثلاثة أرجل (ريش)
تتمركز فى كل من الركن والضلعين الآخرين وهذا يزيد البناء رسوخاً

وثباتاً ويعطيه قوة على تحمل الضغط الناتج من القبة (١٣٤) .

وقد ظهرت مناطق الانتقال هذه في قبة معبد الرفاعي بالصحراء (لوحة ٦٢ - ٦٢ م ، شكل ٧٤) التي جددتها الأمير يشبك من مهدى وفي قبتي الأمير نفسه وهما القبة الفداوية (لوحة ٦٣ - ٦٣ م) والقبة الموجودة عند كوبرى القبة .

وقد اختلف الباحثون بشأن أصل هذه الحنايا فمنهم من رأى أنها متأثرة بمثيلاتها في القباب السورية وأنها حدثت نتيجة لامتزاج القبو السوري بالعقود المفصصة الثلاثية المعروفة في إيران منذ ق ١١ / ٥٥ م والمستخدمه في المسجد الجامع بأصفهان وقد نشأ عنها ذلك الشكل الجديد من العقود والمستعملة في قباب الأمير يشبك (١٣٥) .

ومنهم من يرى أن أقدم مثال لاستعمال الحنية الثلاثية يوجد في ضريح عرب عطاق ١٠ / ٥٤ م من العمارة القرخانية التركية بمجنوب روسيا حالياً ثم شاع استخدامها بعد ذلك عند السلاجقة العظام وسلاجقة الأناضول وعندهم انتقلت إلى مضر فظهرت في القباب السابقة (١٣٦) .

ومنهم من عقد مقارنة بين العقد المدائني في مناطق انتقال هذه القباب وبين مثيله في المداخل المملوكية (١٣٧) على اعتبار أن المعمار

(١٣٤) محمد مصطفى نجيب : العمارة في العصر العثماني (بحث في كتاب القاهرة) - ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

(١٣٥) سامي عبد الحلیم : الأمير يشبك من مهدى وأعماله المعمارية - ص ١٢٣

(١٣٦) علي المليجي : الطراز العثماني في عمائر القاهرة الدينية (رسالة دكتوراه غير منشورة - جامعة أسيوط ١٩٨٠ م) - ص ٣٣٢ .

(١٣٧) ومن أشار إلى هذا النوع من التشابه أيضاً السيدة ليلي علي إبراهيم في مقالها

الملوكي سيعالج مناطق انتقال القباب مثل معالجته لانصاف القباب المتوجه للمداخل لأن المشاكل المعمارية واحدة بينهما ومن ثم كان يحدث بينهما أحياناً تأثير متبادل ، وعلى ضوء ذلك استنتجت صاحبة هذا الرأي أن التشابه بين تصميم الحنية ذات العقد الثلاثي والمداخل الملوكية المتأخرة يجب فقط على جزء من التساؤل الخاص بأصل هذه الحنايا ، أما الجزء الآخر الذي يكمل الإجابة على هذا التساؤل فيمكن في العمارة العثمانية في غرب الأناضول التي وجدت فيها مناطق انتقال مشابهة جداً لمناطق انتقال قباب يشبك ، وعلى سبيل المثال مسجد أورخان في جزيرة منتصف ق ٥٨ / ١٤ م ومسجد بايزيد في Mudurum ولم يلبث أن هجر هذا النوع من مناطق الانتقال في العمارة العثمانية وفضل عنه طراز آخر من مناطق الانتقال ، وقد أدخل طراز الحنايا الأناضولية لأول مرة في عمارة القاهرة في النصف الأول من ق ٥٩ / ١٥ م على الأقل ، ومن الأمثلة التي توضح ذلك منطقة انتقال قبة معبد الرفاعي (١٣٨) .

والواقع أن منطقة انتقال قبة الرفاعي لا ترجع إلى النصف الأول من ق ٥٩ / ١٥ م لأن الأمير يشبك من مهدى قام بتجديدها على غرار القباب التي أقامها وبدل على ذلك التشابه الكبير بين طراز هذه القباب من حيث تكوينها المعماري العام وتكوين مناطق انتقالها ، وبناء على ذلك يمكن القول أن طراز الحنايا العثمانية قد دخل إلى القاهرة في الثلث الأخير من ق ٥٩ / ١٥ م وليس في النصف الأول من هنا

عن مناطق الانتقال السابق الإشارة إليه .

Laila Ali Ibrahim: Op. Cit. p. 21.

Abouseif: Four Domes of the Late Mamluk Period
pp. 195 200.

(١٣٨)

ومن المعروف أن الأمير يشبك هو الذى قاد التجاريد المملوكية إلى آسيا الصغرى (فى عهد السلطان المملوكى قايتباى والسلطان العثمانى بايزيد المعاصر له) وربما أعجبه هذا الطراز الذى شاع هناك فضلاً عن أنه يعتقد أن المهندس الذى قام بتصميم هذا الطراز ليس مصرياً أحضره الأمير يشبك معه فى أحد أسفاره العديدة (١٣٩) .

وظهر هذا النوع من مناطق الانتقال بعد ذلك فى قبة الدشطوطى ٩١٢ هـ / ١٥٠٦ م وقبة على الخواص بالحسينية بداية ١٠ هـ / ١٦ م ومسجد سنان باشا فى يولاق ٩٧٩ هـ / ١٥٧٢ م ومسجد محمد بك أبو الذهب بالأزهر ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م (١٤٠) .

٢ - نواصي منطقة الانتقال من الخارج :

بدأت نواصي منطقة الانتقال من الخارج بسيطة جداً فقد كانت عبارة عن نواصي مدرجة بدرجة واحدة أو مشطوفة شطفة واحدة ساعدت على تحويل المربع السفلى إلى شكل مثنى ويتضح ذلك فى جميع القباب الفاطمية والإيوبية ، أما فى العصر المملوكى بلولتيه فإنه إلى جانب النواصي المدرجة بدرجة واحدة أو مشطوفة بشطفة واحدة وجدت نواصي مدرجة بدرجتين أو مشطوفة شطفتين وأخرى مدرجة

(١٣٩) سامى عبد الحلیم : الأمير يشبك من مهدى وأعماله المعمارية - ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(١٤٠) سامى عبد الحلیم : نفس المرجع - ص ١٢٣ .

على المليجى : الطراز العثمانى فى عمائر القاهرة الدينية - ص ٢٢٢

Abouseif: Op. Cit. p. 194.

Laila Ali Ibrahim: Op. Cit. p. 21.

بثلاث درجات أو مشطوفة ثلاث شطفات وعلى الرغم من أن إضافة درجتين أو ثلاث درجات لم يحدث أى تغيير أو تطور فى وظيفة نواصى منطقة الانتقال ، فقد اقتصر استخدامهما على تحويل المربع السفلى إلى شكل مثنى تماماً مثل وظيفة الدرجة الواحدة إلا أنها بلا شك ساعدت على ارتفاع القبة عن مثلتها من قبل ويتضح ذلك فى معظم القباب المضلعة (لوحات ٧٢ - ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٠ - ١٠٦) وبعض القباب الملساء (لوحات ١٣٦ ، ١٤٢) وأيضاً بعض القباب المزخرفة بأسلوب الدالات (لوحات ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ - ١١٣)

وتطورت نواصى منطقة الانتقال فى العصر الجركسى تطوراً كبيراً يمكن أن نقسمه إلى الأنواع التالية :

النوع الأول :

ويتكون من المنحنيات مقعرة على شكل نصف دائرة يلها نتوءات مائلة بشكل متوالٍ ، وقد بدأ هذا الأسلوب الجديد^(١٤١) بالمنحنيين ونتوءين تلتحم بعدهم الاضلاع فى هيئة ثمانية لتركيب رقبة القبة ومن أمثلة ذلك نواصى منطقة انتقال قبتى خانقاه الناصر فرج بالصحراء وقبة المؤيد شيخ وقبة مدرسة بربسبى بالصاغة ومدفنه بالصحراء: (لوحات ١٠٨ ، ١١٠ - ١١١ ، ١٢١) وتوجد أمثلة لهذا

(١٤١) أطلق العلماء الأجانب على هذا الأسلوب مسميات مختلفة فتمم من أطلق عليه اسم المجدعات والتتوعات الكثيرة .

Briggs: Op. Cit. p. 130.

ومنهم من ذكر أن هذا الأسلوب عبارة عن منحدرات باررة (قلبية) مصمولة (ناعمة الملمس)

Davis: Op. Cit. p. 43.

الأسلوب تتكون من انحناء واحد يليه نتوء واحد أيضاً كما هو الحال في نواصي منطقة انتقال قبة برسباى البجاسي بالصحراء (لوحة ١١٥) وقد تطورت تلك النواصي في قبة قايتباي بالصحراء تطوراً معمارياً وزخرفياً فأضاف المعمار للتنوعين نتوءاً آخر منحج يسبقه انحناءً أكثر تعقيداً زاد من ارتفاع منطقة الانتقال كما زينها بالجفوت ذات الميمات على هيئة مثلثات متساوية الساقين وزين التنوعين الأول والثاني بأشكال دالات محزوزة مع تحويل شكل الحربة الخطافية التي ببداية التنوعات إلى ورقة ثلاثية يتفرع ساقاها ويلتويا على هيئة قرون الكبش الملتفة^(١٤٢) (لوحة ١٢٦) .

وقد اتبع هذا الأسلوب في نواصي منطقة انتقال قبة كل من طراباى الشريفى وسودون أمير مجلس وقرقماس وعصفور (لوحات ١١٦ - ١١٩) إلا أن أسلوب معالجتهما لا يقارن بمثيله في نواصي منطقة انتقال قبة قايتباي السابقة ، أما قبة قانصوة ابو سعيد باحجر (٥٩٠.٤ هـ / ١٤٩٩ م) فقد اكتفى فيها المعمار بتنوعين فقط وأحاطهما بجفوت ذات ميمات في تكوينات مثلثة الشكل (لوحة ١٤٣) كذلك اتبع هذا النظام بقبة ترمباى الحسينى (بالسيدة عائشة) أوائل و ١٠ هـ / ١٦ م ، وقد اندثرت هذه القبة ولم يبق منها سوى جزء بسيط في الجانب الجنوبي الغربى وهو يبين أن منطقة الانتقال من الخارج كانت على هيئة انحناءات ونتوءات إلى جانب وجود النصفين السفليين لركنى هذا الجانب وبهما أجزاء من اسم السلطان قانصوه الغورى^(١٤٣) .

وعند تحليلنا لنواصي منطقة الانتقال التي اتبعت هذا النظام سواء المحددة بالجفوت ذات الميمات أو غير المحددة يتبين لنا أنها تشكل هيئة

(١٤٢) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٥٠٠ .

(١٤٣) نفس المرجع : ص ٥٠٠ - ٥٠١ ، (الكتالوج) (شكل ١٩٢) .

مثلت قمته لأسفل وقاعدته لأعلى أى أنها تتخذ هيئة مثلثات منطقة الانتقال من الداخل ، وقد ساعد هذا بلا شك على ثبات ورسوخ هذه المنطقة الانتقالية حتى تستطيع أن تتحمل إقامة القبة الضخمة فوقها . ويمكن القول أنه على الرغم من اختلاف التكوين المعماري والزخرفي لهذه النواصي المتطورة إلا أنها قد اتفقت مع نظام النواصي المدرجة في أداء وظيفتها المعمارية المتمثلة في تحويل المربع السفلى إلى شكل مئمن أى أنها لم تحدث أى تطور ملموس في هذه الناحية الوظيفية وإن كانت . قد أعطت للقبة مظهراً جمالياً زخرفياً أخذاً .

ويذكر بعض العلماء أن هذا الأسلوب لنواصي منطقة الانتقال قد ظهر أولاً في نواصي منطقة انتقال المآذن لصغر حجم ترييعها السفلى وتثمينها العلوى قبل ظهوره في نواصي مناطق انتقال القباب بفترة تزيد على نصف قرن مما يؤكد القول بأن المآذن كانت حقل تجارب في المجالين المعماري والزخرفي للكثير من العناصر المعمارية والزخرفية التي ظهرت على القباب فيما بعد^(١٤٤) .

ويوجد أول مثال لهذه النواصي في مئذنة بشتاك (٥٧٣٦ / ١٣٣٦ م) ثم توالى ظهوره على المآذن بعد ذلك^(١٤٥) إلى أن انتقل إلى القباب وكان أول مثال له في قبتي خانقاه الناصر فرج بالصحراء كما سبق القول .

(١٤٤) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقرماس - ص ٥٠٢ .

Lalia Ali Ibrahim: Op. Cit. p. 15.

(١٤٥) ومن أمثلة هذه المآذن مئذنة مسجد الحضري (٥٧٣٧ / ١٣٣٦ م) ومئذنة ايدمر البهلوان (قبل ٥٧٤٧ / ١٣٤٦ م) ومئذنة مسجد اسنيغا (٥٧٧٢ / ١٣٧٠ م) ، وطهر في العصر الجركسي في مثلثين فقط هما قانيباى المحمدى (٥٨١٦ / ١٤١٣ م) وتمراز الأحمدى (٥٨٧٦ / ١٤٧٢ م) .

نجيب - المرجع السابق - ص ٥٠٢

النوع الثاني :

ويتكون من مثلثين قمتهما لأسفل وقاعدتهما لأعلى يحصران بينهما شكلاً هرمياً بارزاً (ناتماً) وقد ساعد هذا التكوين الجديد لنواصي منطقة الانتقال في تحويل المربع السفلى إلى منطقة ذات أثني عشر ضلعاً وهذا لم يعهد في نواصي مناطق الانتقال السابقة .

ويخالف التكوين السابق الذي يجمع بين المثلثين المنزلقين لأسفل والشكل الهرمي البارز ما ذكره (د. مصطفى نجيب) من أن هذه النواصي ما هي إلا شكل هرمي ناتئ (بارز) فقط^(١٤٦) .

ويتضح هذا الأسلوب في نواصي منطقة انتقال كل من قبة جاني بك الأشرفي بالصحراء (٥٨٣٥ / ١٤٣٢ م) وقبة السبع بنات (منتصف ق ٥٩ / ١٥) وقبة السلطان اينال (٥٨٥٥ / ١٤٥١ م) والقبة المعروفة خطأً بقرقماس (ق ٥٩ / ١٥ م) وقبة ازدمر أواخر ق ٩ هـ / ١٥ م^(١٤٧) وقبة جاثم البهلوان ٩٢٦ هـ / - ١٥١ م - (لوحات ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١) .

ويذكر (د. مصطفى نجيب) أن الأشكال الهرمية الناتئة إنما هي وليدة نواصي مناطق انتقال المآذن لا بمصر والشام وإنما بالأناضول فقد ظهرت بمنطقة انتقال كل من معذنتي هفت منار^(١٤٨) (٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م) بأرضروم ومعذنة مدرسة انج منار (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م)

(١٤٦) محمد مصطفى نجيب : المرجع السابق - ص ٤٨٢ - دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال - ص ٢٨ - ٢٩ .

(١٤٧) Creswell: A brief Chronology. pp. 132 - 133.

(١٤٨) عن هذه المعذنة وصورتها انظر :

Aslanaba: Op. Cit. pp. 151 - 152.

بقونية بآسيا الصغرى ثم انتقلت هذه الأشكال لماذن القاهرة أيضاً في عصر المماليك البحرية بعد ظهورهما بآسيا الصغرى بحوالى نصف قرن ثم استخدمت بعد ذلك في نواصى مناطق انتقال القباب وهذا تطبيق في مناطق لم يطرقها المعمار السلجوق وتحسب كابتكار للمعمار المملوكى (١٤٩) .

والواقع أن الأشكال الهرمية النائمة لم يقتصر ظهورها فقط على المآذن السلجوقية (كما يذكر د. نجيب) وإنما وجدت أيضاً على القباب منذ فترة مبكرة كما هو الحال في Kumbeti Kirmiz أو Kumbeti Surh في أزربيجان سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م (١٥٠) وفي Kayseri, Döner Kümbet (١٥١) وغير ذلك من الأمثلة العديدة (١٥٢) .

وتتكون نواصى منطقة انتقال هاتين القبتين من مثلثين قمتهما لأسفل وقاعدتهما لأعلى يحصران بينهما شكلاً هرمياً بارزاً (وهو نفس التكوين الذى ظهر فيما بعد على القباب المملوكية التى سبق ذكرها) إلا أنه يلاحظ أن . النواصى فى المثال الأول تحول المربع السفلى إلى شكل مثنى الأضلاع بينما تحوله فى المثال الثانى إلى اثنى عشر ضلعاً كما هو الحال فى نواصى مناطق الانتقال المملوكية السابقة التى اتبعت هذا الأسلوب .

(١٤٩) مصطفى نجيب : دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال - ص ٢٧ - ٢٨ .

Aslanaba: Op. Cit. pp. 80 - 81. (١٥٠)

Ibid. p. 165. (١٥١)

لم يحدد (اصلا نابا) تاريخاً لبناء هذه القبة وعموماً فهى ترجع إلى تاريخ متأخر عن القبة الأولى .

Ibid. pp. 162, 164, 168, 169, 199, 201. (١٥٢)

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن هذا الأسلوب في مناطق انتقال القباب المملوكية ليس من ابتكارات المعمار المملوكي لأنه ظهر قبل ذلك بفترة في نواحي مناطق انتقال القباب في آسيا الصغرى أي قبل ظهوره على المآذن في آسيا الصغرى ومصر بفترة طويلة .

وتطورت هذه النواحي بعد ذلك تطوراً كبيراً فأصبحت تتكون من مستويين من الأشكال الهرمية البارزة أولهما شكل هرمي بارز يعلوه في المستوى الثاني شكل هرمين بارزين إلى جانب وجود مثلثين قمتها لأسفل وقاعدتهما لأعلى على جانبي كل شكل هرمي بارز ، ومن أمثلة ذلك نواحي منطقة انتقال قبة قجماس الاسحاقى (٨٨٥ - ٥٨٨٦ / ١٤٨٠ - ١٤٨١ م) (لوحة ١٣٩) وقبة العادل طومانباى (٥٩٠٦ / ١٥٠١ م) (لوحة ١٢٨) التى قل فيها عدد المثلثات فأصبحت خمسة ، هذا ونلاحظ أن النواحي في قبة قجماس قد حولت المربع السفلى إلى منطقة ذات اثنا عشر ضلعاً بينما حولت المربع السفلى في قبة طومانباى إلى منطقة ذات ستة عشر ضلعاً .

وتشبه نواحي منطقة انتقال قبة ازرمك (٥٩٠٩ / ١٥٠٤ م) (لوحة ١٣١ - ١٣١ م) مثلتها في قبة طومانباى في تكوينها وفي أنها تحول المربع السفلى إلى منطقة ذات ستة عشر ضلعاً .

وقد ظهر في نواحي منطقة انتقال قبة خايربك (٥٩٠٨ / ١٥٠٢ م) (لوحة ١٢٩ - ١٢٩ م) مستويان أيضاً عبارة عن شكل رباعى منحدر أو شكل معين في المستوى الأول يمتد لبداية وسط المستوى الثانى الذى يوجد به شكلى هرمين بارزين (١٥٣) .

(١٥٣) محمد مصطفى نجيب - مدرسة حابر بك (رسالة ماجستير غير منشورة)

وتشبه المثلثات الأربعة التي تحيط بجانبى كل من الشكلين الهرميين
مثيلاتها في نواصي قبة (قجماس الاسحاق) . من حيث أنها تحول
المربع السفلى إلى منطقة ذات اثني عشر ضلعاً إلا أن نواصي قبة
(خايربك) تختلف عنها من حيث صغر حجم الشكلين الهرميين
وأيضاً في وجود الشكل الرباعي المنحدر أو الشكل المعين الذي يوجد
بدلاً منه شكل هرمي بارز في قبة قجماس .

وحدث تطور آخر في نواصي منطقة انتقال قبة كل من قانيبای
الرماح أمير آخور (٥٩٠٨ / ١٥٠٢ م) (لوحة ١٣٠ - ١٣٠ م)
والغوري (٩٠٩ - ٩١٠ / ١٥٠٣ - ١٥٠٤ م) (لوحة ١٤٤)
وقبة بيبرس الخياط (٥٩٢١ / ١٥١٥ م) (لوحة ١٢٠) ويتمثل هذا
التطور في وجود امتدادين رشيقيين يحصران بينهما اخلوداً قليل الغور
في المستوى الأول بينما ظل المستوى الثاني كما هو يتكون من شكلين
هرميين بارزين (١٥٤) .

وقد قامت هذه النواصي بتحويل المربع السفلى إلى منطقة ذات ستة
عشر ضلعاً ، وتمثل قبة قانصوه أبو سعيد بالصحراء (٩٠٤ هـ /
١٤٩٩ م) (لوحة ١٣٥) آخر مراحل تطور هذه النواصي (على
الرغم من أنها تسبق تاريخياً الأمثلة السابقة) حيث تتكون من ثلاث
مستويات من الأشكال الهرمية البارزة تبدأ بشكل هرمي بارز في
المستوى الأول يليه شكلان في المستوى الثاني وثلاث أشكال هرمية
بارزة في المستوى الثالث إلى جانب وجود المثلثات الصغيرة الحجم على
جانبى الأشكال الهرمية ، وقد ساعد تعدد الأشكال الهرمية في نواصي

ص ٤١ ، دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال - ص ٣٠
(١٥٤) محمد مصطفى نجيب . دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال

ص ٣١

هذه القبة على تحويل المربع السفلى إلى منطقة ذات عشرون ضلعاً وهذا لم يعهد من قبل .

النوع الثالث :

ويتكون من أربع مثلثات قممتها لأسفل وقاعدتها لأعلى بواقع مثلث بكل ركن من الأركان ، وتخلو هذه المثلثات الأربعة من الأشكال الهرمية البارزة ، ويتضح ذلك في نواصي قبة أبو العلا ببولاق (٥٨٩٠ / ١٤٨٥ م) (لوحة ١٤٠) وقد قامت هذه المثلثات بتحويل المربع السفلى إلى منطقة ذات اثني عشر ضلعاً .

مما سبق يمكن القول بأن نواصي منطقة الانتقال قد تطورت تطوراً كبيراً في عصر المماليك الجراكسة وقامت بدورها الوظيفي في تحويل المربع السفلى للقبة إلى شكل مئمن الأضلاع أو ذي اثنا عشر ضلعاً أو ستة عشر ضلعاً أو عشرين ضلعاً كما قامت بدورها الجمالي في إكساب القبة مظهراً جمالياً مميزاً لا نجده في القباب ذات النواصي المدرجة من الخارج .

٣ - أواسط منطقة الانتقال :

ارتبط تطور الفتحات التي تشغل أواسط منطقة الانتقال بتطور منطقة الانتقال ذاتها فعندما كانت منطقة الانتقال في القباب الأولى مجرد حنية ركنية كبيرة معقودة بعقد مدبب كانت الفتحات فيما بينها كذلك ، كما هو الحال في القباب السبع والجيوشي والحافظ بالأزهر وأخوة يوسف والحصواتي (لوحات ٢ - ٤)

ولما تطورت منطقة الانتقال في الثلث الأخير من ق ١١ / ١٥ م تطورت تلك الفتحات أيضاً وأصبحت على هيئة عقد ثلاثي مفتوح بالكامل كما هو الحال في الشيخ يونس وعاتكة والجعفرى والسيدة رقية

زيجي الشيه وقبة قوص (لوحات ١٠٥ ، ٧٢ ، ٧٤) .

واستمرت الفتحات الثلاثية أيضاً في أواسط منطقة انتقال بعض القباب الأيوبية إلا أنها أصبحت معقودة بعقد منكسر لتناسب مع هيئة عقد حنايا منطقة الانتقال نفسها كما هو الحال في قبة الخلفاء العباسيين وقبة شجر الدر (لوحات ١٤ - ١٥) .

وتتكون فتحات قبة الإمام الشافعي من ثلاث فتحات سفلية تعلوها اثنتان ويرجع ذلك لطول ضلع منطقة الانتقال وارتفاعها لا لشيء آخر (١٥٥) .

وتتكون فتحات قبة الصالح نجم الدين أيوب (لوحة ١٦) من ثلاث فتحات سفلية تعلوها اثنتان فواحدة في تكوين هندسي رائع وكل فتحة من هذه الفتحات الست معقودة بعقد منكسر .

أما في العصر المملوكي فقد تراوح عدد الفتحات التي تشغل أواسط منطقة الانتقال بين ثلاث فتحات وست فتحات معقودة بعقد منكسر ويتضح ذلك في القباب التي اتبعت مناطق انتقالها النظام القديم (لوحات ١٧ - ٣٩) إلا أنه حدث في بعض الأحيان أن وضعت الفتحات الثلاثية من الخارج داخل دخلة معقودة بعقد حلوة الفرس يرتكز على عمودين مدججين إلا أنهما غير موجودين أحياناً ومن أمثلة ذلك قبة علي بدر القرافي وسنقر السعدى ، القمارى وأبو اليوسفين (لوحات ٧٠ ، ٨٠ ، ٨٤ - ٨٥) ويذكر (كريزول) أن هذه الظاهرة وجدت أولاً في مباني عصر السلطان المنصور قلاوون حيث نجدتها في ضريحه وضريح فاطمة خاتون

(١٥٥) محمد مصطفى نجيب مدرسة الأمر كبير قرقماس ص ٤٩٥

حاشية ٣

وضريح الأشرف خليل بن قلاوون (١٥٦) .

وظهر إلى جانب هذا الأسلوب التقليدي لفتحات أواسط منطقة الانتقال أسلوب آخر متطور يتناسب مع الأسلوب المتطور لمناطق الانتقال نفسها وتمثل هذا الأسلوب أولاً في مدفن فاطمة خاتون (لوحة ٤٣) (٦٨٢ - ٦٨٣ م / ١٢٨٣ - ١٢٨٤ م) ومدفن قلاوون (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) حيث توجد نافذتان متجاورتان يرتكز عقدهما على عمود أو وسط ويعلوهما فتحة مستديرة ، وقد يعلو العقدين والفتحة المستديرة العليا إطار منبعج على شكل عقد ثلاثي مفصص كما في قبة فاطمة خاتون ، وتعد هذه النوافذ (التوأم) المزوجة واحدة من تأثيرات الغرب الإسلامي على العمارة المملوكية (١٥٧) .

وقد أطلقت الوثائق على الأسلوب المتطور للفتحات التي تشغل أواسط منطقة الانتقال اسم القمريات (١٥٨) أو القنديات (١٥٩) .

Creswell: Abrief Chronology. p. 96. (١٥٦)

Shefel (F): West Islamic Influences on Architecture in Egypt. (١٥٧)
p. 33.

السيد عبد العزيز سالم : بعض التأثيرات الأندلسية في العمارة المصرية الإسلامية (المجلة - العدد ١٢ - ديسمبر ١٩٥٧) - ص ٩٧ .

(١٥٨) القمريات ومفردها قمرية وهو المصطلح السائد استعماله في وثائق العصر المملوكي وهي شبايك من الجص المخرم أو الحجر أو الخشب أحياناً توضع في اشناد ومفردها شند وهي الفتحة التي توضع في حوائط المبنى لتوضع القمرية بها وكانت هذه الفتحة تغطي من الخارج بشريط أو شبكة من النحاس والقمرية إما مستديرة مدورة أو مستطيلة مطولة مقطرة على حد تعبير بعض الوثائق .

عبد اللطيف إبراهيم : الوثائق في خدمة الآثار - ص ٤٣٧ - حاشية ٢ ، ص ٤٥٤ حاشية ٢

(١٥٩) ويقصد بها المجموعة من القمريات ويسمى منليه أو مدلون .

عبد اللطيف إبراهيم : نفس المرجع - ص ٤٥٤ - حاشية ٢ .

ويمكن تقسيم القمريات أو القنديات التي شغلت أواسط مناطق الانتقال المتطورة إلى ثلاثة أنواع رئيسية :

النوع الأول :

ويتكون من قمرية واحدة مطاوله وتكون عبارة عن فتحة مستطيلة مقنطرة أى معقود بعقد مدبب أو نصف دائرى كما هو الحال فى قمريات قبة محمود الاستادار (الكردى) وجوهر القنقبائى بالأزهر وقبة قراقجا الحسنى (السادات الشناهره) التى تبدو من الداخل على هيئة قمرية مطاوله أما من الخارج فعباره عن قنديه بسيطه ، وقد اتضح هذا الوضع الأخير فى كثير من القباب الملوكية .

النوع الثانى :

وهو عبارة عن قنديه بسيطه وتتكون من قمريتين مطاولتين متجاورتين تعلوهما قمرية مستديرة لوحات (٤٢ ، ٥٠ - ٥٠ م ، ٥٣ - ٥٥ ، ٦٠) وفى بعض الأحيان لا توجد القمرية المستديرة كما هو الحال فى قبة تنكزبغا بقرافة السيوطى (لوحة ٤١) وقبته فى منشية ناصر (لوحة ٩١) .

النوع الثالث :

وهو عبارة عن قنديه مركبة وتتكون من ثلاث قمريات مطاوله تعلوها ثلاث قمريات مستديرة تشكل هيئة مثلث قمته لأعلى وقاعدته لأسفل لوحات (٥١ - ٥٤ ، ٥٨ - ٥٩ ، ٦١) .

ويذكر (د. نجيب) أن استعمال القنديات البسيطة المركبة ارتبط بارتفاع وامتداد منطقة الانتقال فإن كانت أكثر ارتفاعاً وامتداداً استعمل التكوين المركب وإن كانت أقل وأقصر استعمل التكوين

وعلى الرغم من شيوع هذا النظام وانتشاره إلا أنه حدث في أحيان قليلة جداً أن خلت أواسط منطقة الانتقال من وجود أى نوع من أنواع الفتحات السابقة كما هو الحال في قبة التربة السلطانية ويونس الدودار (بيباب الوزير) وقبة حمام المؤيد شيخ وقبة أولاد السلطان قايتباى (قبة الكلشنى) وقبة الشيخ عبد الله المنوفى (حوالى ٧٨٩هـ / ١٤٧٤م) (لوحات ٤٥ ، ٤٧م ، ٤٩ ، ٥٦ - ٥٧) .
وشغلت أواسط منطقة الانتقال في احيان أخرى بأربع قمريات مستديرة كما هو الحال في قبة المدفن الملحق بالمدرسة الاقباوية بالأزهر .

ويحسن بنا أن نذكر أن الفتحات التى تشغل أواسط منطقة الانتقال بأنواعها التى سبقت الإشارة إليها تكون في أغلب الأحيان من الجص المخرم المعشق بالزجاج الملون وتحتوى على زخارف نباتية وهندسية وكتائية وكذلك أنواع من العمائر والتحف التطبيقية الإسلامية كالمنابر .

رابعاً : الرقبة والقبة :

١ - الرقبة :

على الرغم من أن القباب الفاطمية لا تحتوى غالباً على رقاب بأعلى منطقة الانتقال تستقر القبة عليها (لوحات ٧٢ - ٧٤) إلا أنه وجدت في بعض هذه القباب رقاب مثمثة فتح بها إما ثمانية

(١٦٠) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمر كبير فرقماس - ص ٤٩٨ .

نوافذ ثلاثية الفتحات تكون على شكل المشكاة كما هو الحال في رقبة قبة الشيخ يونس (لوحة ٥) أو ست عشر نافذة تكون على شكل المشكاة أيضاً كما هو الحال في رقبة قبة السيدة رقية (لوحة ٨ م ، ٧٣) وقد فتح في رقاب القباب الأيوبية ثمانى نوافذ معقودة بعقد منكسر كما هو الحال في قبة شجر الدر (لوحة ١٥) أما قبة الخلفاء العباسيين فلا تحتوى على رقبة بأسفلها (لوحة ١٤) .

وقد فتح في رقاب القباب المملوكية أيضاً نوافذ كثيرة معقودة بعقد منكسر أو عقد نصف دائرى تبادلت بين الفتح والغلق يترواح عددها (كما يذكر دلى ونجيب) بين ثمانية إذا كانت القبة صغيرة وست عشرة إذا كانت القبة كبيرة .

والواقع أن فتحات نوافذ الرقاب في قباب العصر المملوكى لم تتبع نظاماً واحداً من حيث عددها وأيضاً من حيث توزيعها ومن ثم يمكن تقسيمها على النحو التالى :

١ - تحتوى بعض رقاب القباب على أربع فتحات لنوافذ معقودة بعقد منكسر بواقع فتحة بأعلى فتحات أواسط منطقة الانتقال وفيما بينها اثنا عشر فتحة معقودة بعقد منكسر أيضاً ولكنها مسدودة بواقع ثلاث فتحات بأعلى كل ركن من أركان منطقة الانتقال ويتضح ذلك في رقبة قبة خديجة أم الأشرف بالصحراء (لوحة ٢٥) . .

٢ - تحتوى بعض رقاب القباب على ثمان فتحات لنوافذ معقودة بعقد منكسر ومن أمثلتها رقبة قبة كل من أحمد بن سليمان

(١٦١) دلى : العمارة العربية بمصر - ص ١٠ .
محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير قرقماس - ص ٥٠٦ .

الرفاعي (إلا أنها مسلوذة) وقبة خوند طولبية
(لوحة ٩٦) وقبة يونس الداودار « أنس » (١٦٢)
(لوحة ٢٣) .

٣ تحتوى بعض الرقاب أيضاً على ثمانى نوافذ أيضاً ولكنها معقودة
بعقد (نصف دائرى) كما هو الحال فى رقبة قبة يونس
الداودار (بيباب الوزير) (لوحة ٤٧ - ٤٧ م) وأولاد
قايتباى (الكلشنى) (لوحة ٥٦) وأزرمك (لوحة ٦٠)
وعصفور (لوحة ٥٩) .

٤ تحتوى بعض الرقاب على ثمانى نوافذ مفتوحة معقودة بعقد
منكسر وفيما بينها ثمانية أخرى مسلوذة (مضاهية) معقودة
بنفس العقد ويتضح ذلك فى القبة الأولى فى ايدكين
البنداقدارى (لوحة ١٧) وقبة الصوانى (لوحة ١٨) والقبة
الحجرية الثالثة فى منشأة سلاروسنجر (لوحة ٢٠) وقبة
صفى الدين جوهر (لوحة ٢١٠) والقبة المعروفة بالمنوفى فى
قرافة السيوطى (لوحة ٤٤) إلا أن عقود فتحاتها مديبة .

٥ - تحتوى بعض الرقاب أيضاً على ثمان نوافذ مفتوحة معقودة
بعقد منكسر وفيما بينها ست عشرة نافذة أخرى مسلوذة
(مضاهية) معقودة بنفس العقد كما هو الحال فى رقبة قبة
حسام الدين طرنطاي وقبة ميسأة ابن طولون وسنقر السعدى
وكزل (كركر) (لوحات ٢٤ ، ٢٢ ، ٣٣) .

(١٦٢) يوجد برقة قبة يونس الداودار من احارج ثمانى نوافذ ممدوحه معقودة بعقد
منكسر وثمانية أخرى معقودة بنفس العقد إلا أنها مسلوذة (مضاهية)

٦ - تحتوى بعض الرقاب على اثني عشرة نافذة مفتوحة معقودة بعقد منكسر وفيما بينها ثمانى نوافذ مسلودة (مضاهية) معقودة بنفس العقد كما هو الحال فى رقبة قبة خوند طغاي أم أنوك (لوحة ٢٩) أما رقبة القبة الجنوبية فى خانقاه الناصر فرج فتحتوى على ١٢ نافذة مفتوحة فيما بينها ست وثلاثين فتحة مسلودة .

٧ - تحتوى بعض الرقاب على اثني عشرة نافذة مفتوحة معقودة بعقد نصف دائرى فيما بينها إما اثني عشرة نافذة مسلودة كما هو الحال فى رقبة قبة نصر الله (لوحة ٣٤) أو أربع وعشرون نافذة مسلودة كما هو الحال فى رقبة قبة جاني بك الأشرفى وبرسباى البجاسى (لوحات ٥٠ ، ٥٣) .

٨ - تحتوى بعض الرقاب على ست عشرة نافذة معقودة كما هو الحال فى القبة الأولى على يمين إيوان التربة السلطانية (لوحة ٤٥) وقبة أولجاي اليوسفى والقبة المعروفة بالسبع بنات بالصحراء (لوحة ٥٤) وقبة مدفن السلطان قايتباى بالصحراء وقبة سودون أمير مجلس وقبة الزمر وقبة خايربك ، أما رقبة قبة خانقاه الناصر فرج الشرقية فتحتوى على ست عشرة نافذة مفتوحة أيضاً فيما بينها اثنان وثلاثون فتحة مسلودة (مضاهية) .

٩ - تحتوى بعض الرقاب على عشرين نافذة مفتوحة معقودة بعقد منكسر كما هو الحال فى قبة زين الدين يوسف وسلاى والقبة الثانية على يسار إيوان التربة السلطانية (لوحة ٤٦) إلا أنها معقودة بعقد نصف دائرى وكذلك قبة المؤيد شيخ .

١٠ - تحتوى بعض الرقاب على أربع وعشرين نافذة مفتوحة معقودة بعقد منكسر كما هو الحال في القبة الثانية في ايدكين البندقارى وقراسنقر وسنجر الجاولى (لوحات ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٧) .

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن عدد فتحات النوافذ في رقاب القباب المملوكية تتراوح ما بين أربع فتحات أو ثمانى فتحات أو اثنى عشرة فتحة ، أو ستة عشرة فتحة أو عشرين فتحة أو أربع وعشرين فتحة أما المضاهيات (وهى فتحات مسدودة تماثل النوافذ فى هيئتها) فقد تتراوح عددها ما بين ثمانى مضاهيات أو اثنا عشر مضاهية أو ست عشرة مضاهية أو أربع وعشرين مضاهية أو اثنين وثلاثين مضاهية أو ست وثلاثين مضاهية .

٢ -- القبة :

تطورت القبة من حيث مادة بنائها وهيئة قطاعها والزخارف التى تكسوها من الداخل والخارج ، وقد بنيت القبة الفاطمية بالآجر وقطاعها نصف دائرى ومدبب قليلاً فى بعض الأحيان (١٦٣) . وأحياناً أخرى يكون مدبب من النوع ذى الأربع مراكز ومن أمثلة ذلك قبة الجيوشى والشيخ يونس وقبة قوص وبعض قباب أسوان والنموذج الأصلى لهذا النوع من القباب التى على هيئة العقود المدببة من النوع ذى الأربع مراكز نراه فى قبة جامع القيروان (١٦٤) .

واستمر الآجر مستخدماً فى بناء بعض القباب الأيوبية مثل الخلفاء العباسيين وشجر الدر والصلاح نجم الدين أيوب ، وأصبح قطاع القبة

(١٦٣) محمد مصطفى نجيب مدرسة الأمير كبير قرقماس ص ٥٠٣

(١٦٤) Shafiq: West Islamic Influences. pp. 11 15.

على هيئة عقد مدبب من النوع ذى الأربع مراكز فى قبة الخلفاء العباسيين^(١٦٥). أو على هيئة عقد منكسر كما فى شجر الدر، أما قبة الصالح نجم الدين أيوب فقد زاد فيها بوضوح تدبب العقد الستيني^(١٦٦).

واستخدم الخشب إلى جانب الآجر أيضاً ويتضح ذلك فى قبة الإمام الشافعى^(١٦٧) واستمر استخدامه أيضاً فى بعض القباب المملوكية كما هو الحال فى قبة محراب جامع الظاهر بيبرس البندقدارى^(١٦٨) وقبة مدرسة الناصر محمد بالنحاسين وقبة محراب مسجد الناصر محمد بالقلعة وقبة محراب مسجد المرادانى والقبة الأصلية فى السلطان حسن (قبل إعادة بنائها) والقبة الأصلية فى مدرسة برفوق بالنحاسين (قبل إعادة بنائها) وقبة محراب مسجدى

Ibid. p. 30.

(١٦٥)

(١٦٦) محمد مصطفى نجيب : المرجع السابق - ص ٥٠٤ .

Devonshire: Some Cairo Masques and their Founders. p. 48. (١٦٧)

هذا ولا يعتقد (د. فريد شافعى) أنها هى القبة الأصلية التى شيدت مع البناء ١٢١١ هـ / ١٢١١ م) لأن سمك الجدران التى تحملها يصل إلى نحو ٢,٥٠ م. مما يرجح أن تكون القبة الأصلية قد شيدت بالآجر حسب أسلوب البناء الذى كان سائداً فى العصر الفاطمى والأيوبي وأول المملوكى .

فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية - ص ١٩٩ .

(١٦٨) كانت هذه القبة على قدر قبة الإمام الشافعى .

المقريزى : الخطط - ج ٢ - ص ٣٠٠ .

ويذكر كريتزول أنها مستمدة من تخطيط مسجد ميفارقين المعروف بمسجد صلاح الدين .

Creswell: The works of Sultan Bibars in Egypt. (Le Caire 1926). pp. 170 - 173. Fig. 10.

بينما يذكر (Bloom) أنها مستمدة من قباب الخراب فى المساحة الساحيقية فى إيران

Bloom: The Mosque of Baybars pp 68 70.

زين الدين يحيى بالحسانية وبولاق (١٦٩) .

وظل الآجر مستخدماً في بناء غالبية القباب في عصر المماليك البحرية فيما عدا أمثلة قليلة استخدم فيها الحجر خلال ق ٥٨ / ١٤ م ومن أمثلتها القبة الحجرية الثالثة بمنشأة سلا، وسنجر ٥٧٠٣ / ١٣٠٣ م وهي صغيرة الحجم تكاد لا ترى بالنسبة للقبتين الضخمتين المجاورتين لها المبنيتين بالآجر، وبلى ذلك قبة سنجر المظفر ٥٧٢٢ / ١٣٢٢ م وقبة تنكزبغا ٥٧٦٤ / ١٣٦٢ وقبة أم السلطان شعبان ٥٧٧٠ / ١٣٦٨ م وقبة أولجاي اليوسفي ٥٧٧٤ / ١٣٧٢ م وقبة أيتمنس البجاسي ٥٧٨٥ / ١٧٨٣ م وقبة محمود الاستادار (الكردي) ٥٧٩٧ / ١٣٩٤ (١٧٠) .

(١٦٩) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية - ص ١١٠ ، ١٦٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ .

صالح لمعي : التراث المعماري الإسلامي في مصر - ص ١٠٥ - ١٠٦ .
ليلي شافعي : منشآت القاضي يحيى زين الدين بالقاهرة - ص ٢٥٠ .
(١٧٠) يوسف أحمد : جامع أحمد بن طولون (المحاضرات الأثرية - ١٩١٧ م) ص ٣٦ .

حسن عبد الوهاب : العمارة الإسلامية - البناء بالطوب في العصر الإسلامي (مجلة العمارة - العدد ٣ ، ٤ - المجلد الثاني ١٩٤٠ م) - ص ٢٢٦ - ٢٢٧ . تاريخ المساجد الأثرية - ص ١٢٨ - ١٢٩ .

صالح لمعي : التراث المعماري الإسلامي في مصر - ص ١٠٢ - ١٠٣ .
ويمكن القول أن وجود هذه النماذج من القباب الحجرية يصحح ما ذكره بعض العلماء الأحناف من أن قباب خانقاه الناصر فرج بن برقوق بالصحرَاء هي أول قباب تبنى بالحجر في مصر ومن هؤلاء :

مكس هرتس : فهرس مقتنيات دار الآثار العربية ولمعة في تاريخ فن المعمار - ترجمة على بهجت - القاهرة ١٩٠٩ م - ص ٦١

Briggs: Op. Cit. p. 196.

Devonshire: Eighty Mosques and Other Islamic Monuments. p. 42.

Ramples in Cairo - p. 56.

وقد شاع بناء القباب بالحجارة خلال ق ٩ - ١٠ هـ / ١٥ - ١٦ م فيما عدا أمثلة نادرة جداً استخدم فيها الحجر في بناء القباب كما هو الحال في قبة معبد الرفاعي بالصحراء والقبة الفداوية وقبة قجماس الاسحاق وقبة أبو العلا ببولاق^(١٧١) (لوحات ١٣٩ - ١٤٠) .

مما لا شك فيه أن شيوع بناء القباب بالحجارة قد ساعد على زيادة الإثراء الزخرفي للقبة كما ساعد أيضاً على اتقان نسبها من حيث زيادة ارتفاعها بالنسبة إلى عرضها^(١٧٢) .

ولم يخرج قطاع هذه القباب عن القطاع المدبب الذى يقارب الشكل البصلى في قمتها وانتفاخ بدنها^(١٧٣) .

وعرفت في عصر المماليك أيضاً القباب ذات المناور أو الجواسق ويتضح ذلك فى القبة المعروفة بقبة المنوفى فى قرافة السيوطى (لوحة ١٣٦) ، حيث توجد قبة صغيرة مضلعة بأعلى القبة الكبيرة وبذلك يكون مهندسها قد سبق عصر برونولسكى ١٤٢٠ م الذى نسب إليه فى وقت ما اختراع هذا النوع من القباب فى مدينة البندقية^(١٧٤) .

- (١٧١) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية - ص ٢٦٥ ، ٢٧٧ .
محمد عبد الستار : نظرية الوظيفة - ص ٤٠٤ .
سوسن سليمان : منشأة الأمير قجماس الاسحاق - ص ١٧٨ .
(١٧٢) دلى : العمارة العربية فى مصر - ص ٩ .
(١٧٣) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمير كبير فرقماس - ص ٥٠٦ .
(١٧٤) حسن عبد الوهاب : العمارة الإسلامية دولة المماليك البحرية - (مجلة العمارة - العدد ١ ، ٢ - المجلد الرابع ١٩٤٢ م) - ص ٦١ .
التأثيرات المعمارية بين سوريا ومصر - ص ١٠١ ، ١٠٢ .
زكى حسن : فنون الإسلام - ص ١٥٣ =

وظهر أيضاً في العصر المملوكى نوع من القباب يعرف بالقباب السمرقندية ومن أمثلتها قبة مدفن صرغتمش^(١٧٥) وقبتي التربة السلطانية (لوحة ٩٥) وقبة يونس اللوادار بباب الوزير^(١٧٦) (لوحة ١٠٣) .

وتشبه هذه الأمثلة القباب السمرقندية ومن أمثلتها قبة تيمورلنك ٥٨٠٨ / ١٤٠٥ م المعروفة بجور أمير بسمرقند^(١٧٧) (لوحة ١٠٢) .

وتمتاز القباب السمرقندية بربقتها الطويلة التي يقل قطرها عن قطر البدن نفسه ويبدأ تكوير القبة من الداخل ابتداءً من عقد شبك الرقبة بينما يبدأ من الخارج على مسافة كبيرة من عتب الشباك

= ويذكر المرحوم (حسن عبد الوهاب) أن خان أسعد باشا العظم بدمشق (١١٦٦ هـ / ١٧٥٢ م) به قباب ذات مناور .

حسن عبد الوهاب : التأثيرات المعمارية بين سوريا ومصر - ص ١٠١ .
(١٧٥) تذكر (د. سعاد ماهر) أن هذه القبة تمتاز بظاهرة يندر وجودها في عمائر القاهرة وهي احتواؤها على قبة مزدوجة البناء ، قبة داخلية قطاعها شبه دائري وتقوم على رقبة متوسطة الارتفاع وقبة خارجية ذات قطاع مديب وتقوم على رقبة ممتدة الارتفاع بحيث أنها تبدأ في منتصف النوافذ .

سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون - ج ٣ - ص ٢٧٢ -
لوحة ٢٤٠ .

(١٧٦) محمود أحمد : مدرسة صرغتمش (مجلة الهندسة - السنة ١٤ - العدد الأول - ١٩٣٤ م) - ص ٨ - ٩ .

حسن قاسم : جامع صرغتمش الناصري (هدى الإسلام - السنة الثامنة - العدد الأول - ١٩٤١ م) - ص ١٣١ .

حسن القصاص : مدرسة صرغتمش (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة ١٩٧٣ م) - ص ١١٩ - ١٢٠ .

Meinacke (M): Mamluk Architecture (Damashus, 1985). p. 175. (١٧٧)

المذكور (١٧٨) .

وقد اختلف العلماء بشأن هذا النوع من القباب فمنهم من ذكر أن شيوعه في بلاد المغول قبل شيوعه في مصر يؤكد أن هذا الطراز نقل من هناك إلى هنا (١٧٩) ومنهم من ذكر أن خصوبة مصر ورغد العيش فيها ثم بعدها عن أخطار المغول جعل منها خير ملجأ يتوفر فيها الأمن والعيش فهاجر إليها كثير من مسلمي الفرس وعرب العراق والشام في ق ٥٧ / ١٣ م مما جعل تأثيرات معمارية وزخرفية تظهر في مصر في ذلك القرن والذي يليه ومن أمثلة ذلك النهايات العليا من النوع البصلي لمئذنتي جامع الناصر محمد بالقلعة ٥٧٣٥ / ١٣٣٥ م وهو الشكل الذي نراه في بعض القباب التي شيدت في ذلك العهد مثل قبة التربة السلطانية (١٨٠) .

ومما يؤكد هجرة المعمارين والفنانين ما ذكر من أن مهندس خانقاه بيبرس الجاشنكير كان تترياً (١٨١) كما قام معمار تبريزي ببناء منارتي مسجد قوصون على مثال منارة جوهر على شاه في تبريز وزير الملك المغولي الفارسي أبو سعيد (١٨٢) .

ويذكر (بريجز) أن هذا النوع من القباب كان هو الشكل المفضل في بلاد التركستان وفارس وميزو بوتاميا (بلاد ما بين النهرين) ثم

(١٧٨) زكي حسن : فنون الإسلام - ص ١٥٤ .

حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية - ص ١٦٣ .

(١٧٩) محمود أحمد : المرجع السابق - ص ٨ .

(١٨٠) فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الإسلامية - ص ٢٨٠ .

(١٨١) محمود أحمد : مدرسة صرغتمش - ص ٨ - ٩ .

Lone - Pool: Art of the Saracens in Egypt. p. 236.; (١٨٢)

Margoliouth: Cairo. p. 90.

انتقل إلى مصر (١٨٣) .

والواقع أنه حدثت روابط عديدة بين المماليك والمغول سواء مغول فارس أو مغول القفجاق (القبيلة الذهبية) الذين استقروا شمالي البحر الأسود وشرقيه وهي روابط اتخذت شكل مصاهرات وتبادل البعثات الدبلوماسية والهدايا وعقد الاتفاقات بين الطرفين وكانت الفترة النشطة لهذه العلاقات في عهود السلطان الظاهر بيبرس ثم سلاطين أسرة قلاوون وخاصة السلطان الناصر محمد بن قلاوون (١٨٤) .

ويمكن القول أن اعتناق مغول القفجاق للديانة الإسلامية قد أوقعهم في عدااء شديد مع مغول فارس والعراق الأمر الذي ثرّب عليه نوع من التقارب والتحالف بينهم وبين السلطنة المملوكية وإن كان هذا الأمر لم يمنع وجود روابط وثيقة أيضاً بين السلطنة المملوكية وبين مغول فارس .

ومما لا شك فيه أن وجود هذه الروابط قد ساعد على تبادل التأثيرات المعمارية والفنية بين البلاطين المغولي والمملوكي يؤكد ذلك أمرين :

(١٨٣) Briggs: Op. Cit. p. 197.

(١٨٤) نحدث عن هذه العلاقات بعض العلماء والباحثين وأفردوا لها صفحات كثيرة في بحوثهم ودراساتهم ومن هؤلاء :

على إبراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية - ص ١٤٠ - ١٦٩ .
سعيد عاشور : الظاهر بيبرس (أعلام العرب - العدد ١٤ - القاهرة ١٩٦٣ م)
ص ٨٨ - ١٠٠ . العصر المماليكي في مصر والشام - ص ٢٢٦ - ٢٢٩ .
فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول ١٩٧٦ م -
ص ٢٠٥ ، ٢١٨ .

حياة ناصر الحججي : العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق .
(حوليات كلية الآداب الكويت الحولية ٢ - ١٩٨١ م) - ص ١٠ - ٤٤ .

١ - ما ذكره المقریزی فی حوادث ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م من أن السلطان المنصور قلاوون جهز « هدية سنية، إلى بربركة ومبلغ ألفی دينار برسم عمارة جامع قرم وأن تكتب علیه ألقاب السلطان وجهاز حجار لنقش ذلك وكتابتها بالأصباغ (١٨٥) . ويدل هذا النص على انتقال التأثيرات المملوكية إلى العمارة المغولية في آسيا الصغرى .

٢ - انتقال الكثير من العناصر المعمارية والزخرفية الآسيوية إلى القاهرة المملوكية وتزدان الفنون التطبيقية والعمارة المملوكية بالكثير من هذه العناصر مما يؤكد وجودها .

الأهلة بأعلى القباب :

يلو كل القباب تقريباً أهلة من النحاس ترتفع على قائم ذی انتفاخات كروية وكمثرية مثبتة بقمة القبة ، وقد ذكر (د. مصطفى نجيب) أن اتجاه قوسى الهلال يكونا ناحية كل من الشمال والجنوب المغناطيسى وقد اندثرت غالبية تلك الأهلة نظراً لعدم قدرتها على مقاومة التقلبات الجوية العنيفة فى بعض الأحيان فقامت لجنة حفظ الآثار العربية بتركيب أهلة جديدة للكثير من القباب ومن ثم اتخذت بعض الأهلة أوضاع أخرى تخالف الوضع السابق المشار إليه (١٨٦) .

أما (د. صالح لمعى) فيذكر أن وضع هذه الأهلة يكون موازياً لاتجاه القبلة وقد رجح أن استعمال الهلال فى العمارة الإسلامية

(١٨٥) المقریزی : السلوك - ١ - ق ٣ - ٧٣٨ .

حياة الحجى : العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق - ص ١٥ .

(١٨٦) محمد مصطفى نجيب : مدرسة الأمر كبير قرقماس - ص ٥٠٧ -

حاشية ٢ .

إنما يرجع إلى أن التوقيت الإسلامى يعتمد على الأشهر القمرية ، وإلى أن الهلال عندما يظهر في أول الشهر العربى ينير الأرض مبدداً الظلام الذى سادها عندما كان القمر فى المحاق وقد يكون استعمال الهلال تعبيراً عن ظهور الإسلام الذى بدد الظلمات الجاهلية وحطم الشرك بالله ، كما أن وجود الهلال فى مبنى ذى أهمية إسلامية عظيمة مثل قبة الصخرة يجعله يصبح ضمن المفهوم العام للإسلام^(١٨٧) .

أما عن النسب المعمارية الخاصة بالرقبة والقبة فى العصر المملوكى الجركسى فيذكر (د. على غالب) ما يلى :

١ - أن ارتفاع القبة والرقبة معاً بالنسبة للارتفاع من منسوب الأرض حتى نهاية منطقة الانتقال يساوى ١ : ١,٦١٨ (مثل جاني بك الأشرفى ، برسباى البجاسى واذمر) أو يساوى ٣ : ٥ (مثل السبع بنات) أو يساوى ١ : (٢ × ١,٦١٨) (مثل نصر الله) أو يساوى ١ : ١,٦١٨ بالنسبة لارتفاع الجزء السفلى حتى بداية منطقة الانتقال من الخارج مثل (ازرمك) أو يساوى ١ : ١,٦١٨ بالنسبة للارتفاع من بداية منطقة الانتقال حتى قمة القبة (مثل عصفور) .

٢ - أن سمك حوائط الرقبة والقبة يساوى ربع سمك حوائط الجزء السفلى (مثل جاني بك الأشرفى ، السبع بنات وازرمك) أو يساوى ثلث سمك حوائط الجزء السفلى (مثل نصر الله ، برسباى البجاسى عصفور واذمر)^(١٨٨) .

(١٨٧) صالح لمى مصطفى - القباب - ص ١١ - ١٣ .

(١٨٨) على غالب : قباب القاهرة فى عصر المماليك الشراكسة - ص ١٤ .